الشوق في ديوان الوسائل المُتَقَبَّلة في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي زيد الفازازي الأندلسي (ت٦٢٧هـ) مع تخميسه لأبي بكر محمد بن مُهيب المغربي (ت٦٤٥هـ) – دراسة تحليلية

جامعة السليمانية
فاكلتي التربية الرياضية والتربية الأساسية
سكول التربية الأساسية

الملخص :

لاشك في أن ميدان النبويات يعد أحد الميادين الحافلة بالمعاني السامية ، كما تصوره لنا المشاعر التي تعلقت بشغف بمقصودها من وراء النظم الشعري في هذا الحقل ، وذلك بعد أن تترك ثمة دوال قائمة على الساحة الفنية تقودنا الى إبداء بعض التساؤلات المشروعة حيالها .

وتحاول هذه الدراسة بخطوات بحثية الحصول على إجابة عن السؤال الآتي : (ماذا قدم الشوق للمديح النبوي في ديوان الوسائل المتقبلة لأبي زيد الفازازي) ؟

ويقتضي توافر عنصر الإشكالية في هذا الجانب المعرفي ، الوقوف على ماهية الشوق في المجموع الشعري المذكور ، وذلك بأن يخضع لمنهاج دراسة وصفية– تحليلية ، ترصد مفهومه نصياً وتسهم في تسليط الضوء على آلياته في نطاق تكوين الغرض الشعري ، من أجل ذلك قام البحث على أساس فقرتين اثنتين هما : المكان والرحلة اليه والأثر النبوي الشريف ، فضلاً عن البعد والقرب . إذ افادتا في الخاتمة ان الشوق في ديوان الوسائل المتقبلة بدا بمظهر سخّر طاقاته ضمن إطار غرض المديح النبوي في المجموع الشعري .

المقدمة:

إرتبط الحديث في موضوع المديح النبوي في الأدب العربي بعد أن واكب هذا الغرض بجملة من المضامين التعبيرية ، يُعَدُّ الشوق أحدها ، ذلك أن أغلب المؤلفات والمنظومات التي تقع ضمن سياق هذا الغرض الديني حرصت على مراعاة هذا الأمربشكل أو بآخر، نظراً لما تؤول إليه الأشواق في المحصلة النهائية من تعلق بشخصية الممدوح ضمن الغرض القائم في ضوء الإشادة بشمائله المستوحاة من الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة .

وتنبع أهمية هذا البحث من أنه يحاول جهد الإمكان الحصول على إجابة عن التساؤل المطروح الآتي : (ماذا قدم الشوق للمديح النبوي في ديوان الوسائل المتقبلة) ؟
ولا شكَّ في أن الظفر بمطلب من هذا النمط يقتضي الوقوف على ماهية الشوق في المجموع الشعري المذكور ، وذلك بأن يخضع لمنهاج دراسة وصفية– تحليلية ، ترصد مفهومه نصياً وتسهم في تسليط الضوء على آلياته في نطاق تكوين الغرض الشعري ، بردفه إيّاه بالمعنى اللازم ، ولاسيما وأن هذه التجربة الماثلة قد تُعَدُّ من طلائع تجارب الشعر الأندلسي في هذا الميدان ، ففيما هنالك رأي يذهب الى " تطور المديح النبوي ، وأصبح أحد الأغراض الشعرية المعروفة منذ أواخر العصر الأيوبي وأوائل العصر المملوكي "* ، يرى آخر أن " الفضل في رسوخ قصائد المديح النبوي وإنتشاره في الأندلس قبل الصرصري والبوصيري "**يرجع الى صاحب هذا الديوان الشعري أبي زيدالفازازي الأندلسي(ت٦٢٧هـ) ، وإذا ماصح القول الأخيرعلى محك الإثبات العلمي – ولاسيما وأن مسألة القرب الزمني القائمة في النصين يجب أن تؤخذ بالحسبان – فإنه سيهم في الكشف عن طابع الريادة الأندلسية في ميدان النبويات مؤرِّخاً لقضية نقدية ، ومن هنا تبدو ملامح إشكالية هذا البحث المتواضع بحق ، والذي من المؤمّل أن يفيد جانباً معرفياً ولو يسيراً بعد أن يشق طريقه الى القرآء والباحثين الكرام ، والله المستعان .

توطئة : وتتضمن التعريف بأبي زيد الفازازي ، ومخمّس عشرينياته في مدح النبي (ص) الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن مهيب ضمن ديوان الوسائل المتقبَّلة.وفي أدناه بيان لذلك :
١– أبو زيد الفازازي القرطبي(بعد ٥٥٠ هـ – ٦٢٧) :
اسمه ونشأته:

يعد إبن الأبار البلنسي(ت ٦٥٨هـ) أقدم من ترجم للفازازي ، واسمه كما ورد لديه ، وكان معاصراً له ، فهو : "أبو زيد عبد الرحمن بن يَخْلَفْتن بن أحمدالفازازي " (١) ، وزاد في اسمه تلميذه النبيه إبن الفخّار الرعيني(ت٦٦٦هـ) بقوله : " أبو زيد ، عبد الرحمن بن أبي سعيد بن يخلفتن بن أحمد بن تنفليت بن سليمان الفازازي" (٢) ، ومن الثابت تاريخيا انه " ولد بقرطبة ونشأ بها وتجول ببلاد الأندلس والعدوة " (٣) ، لا كما ذهب اليه ابن الزبير(ت ٧٠٨ هـ) في ان منشأه كان في مراكش بقوله في اسمه ونسبه ونشأته :" عبد الرحمان بن محمد بن يخلفتن بن أحمد الفازازي بقبلي مدينة الزيتون مكناسة ، ومنشؤه

بمراكش "(٤) ،اذ " ان المعلومات القليلة التي قدمها هذا الأخير لاتدل على معرفة تامة بحياته وأخباره ، إذ فيها من الأخطاء في نَسَبِه وتاريخ وفاته ، والإختصار المخلّ بأخباره ما يجعلها ضعيفة أمام ما أورده إبن الأبّارمن معلومات دقيقة عن الرجل وهو الذي عاصره وقصد زيارته مرتين في إشبيلية سنة ٦٢٦ أي قبل ولادة إبن الزبير نفسه ، ولذا فقداعتمد أصحاب التراجم والمؤرّخون والمحدثون على رواية إبن الأبّار ولم يلتفتوا الى رواية إبن الزبير ، وذلك دليل آخر على ضعفها ".(٥)

حاله وورعه :

للفازازي نصيب وافر من الإسهام في ميدان العلوم والآداب ، بقي قسم منها وضاع آخرللأسف الشديد ، فهو أصلاً " كان من بيت علم ونباهة " (٦) ، وعليه كان ذا مكانة رفيعة بين الأوساط العلمية والأدبية ابان الدولة الموحدية (٥٤١-٦٤٦هـ) ، بل قلّما أن يوجد أحد مثله كما قال فيه الرعيني : " هذ شخص لم ألق مثله في دينه وفضله ومشاركته في العلوم الشرعية واستظهاره فيها بالمنة القوية ، وأما سرعة بديهته ناظماً أو ناثراً فأمر يكثر من العجب ، ولا تأتي بمثله الحقب ، شاهدته مراراً ينظم القصيدة من أربعين بيتاً الى سبعين فيكتبها في القرطاس كأنما هوناقل لها لاقائل وراسم لا ناظم ، وربما تندر الصحيفة من يده بذلك غير محتاج فيها الى تغيير حرف ولا تبديل كلمة .

وهذه قوة لم يؤتها بشر وذا اقتدار ليس في المنن"(٧)

وقال فيه التنبكتي (ت ٩٦٣ هـ) معززا القول في الفازازي وأخباره المشرقة على ما يبدو في هذا المسردالبسيط : " كان عالماً بالآداب متصرفاً في فنونها كاتباً بليغاً شاعراً مجوّداً وافر المادة قوي العارضة مشاركاً في أصول الفقه ، ذا معرفة بعلم الكلام ناظراً في الفقه ، كتب دهراً طويلاً للولاة ، وجال بلاد العدوة والأندلس كثيراً ، وغلب عليه الأدب ومال للتصوف وشهر به " (٨) ، ولا سيما وقد " كان رضي الله عنه شديد الإتباع للسنة والمنافرة لأصحاب البدع ، نزيه الهمة ، موثراً للورع ، كثير الحب في الصالحين والزيارة لهم متواضعاً ... ، وله نظر جيد في الأصولين وفي الفقه " (٩) ، وأضاف صاحب نيل الإبتهاج قائلاً :"ومال لصحبة المريدين والسعي في مطلبهم والتشدد على أهل البدع ". (١٠)

وفضلاً عما مرّمعنا من إشارة الى مكانة الفازازي العلمية والأدبية ، تبقى المدائح النبوية علامة فارقة وَسَمَتْهُ فنال بها شهرة جالت الآفاق بعد أن كان فارساً مكثراً ومجوداً في

الميدان قال المقري(ت١٠٤١هـ) من باب الإشادة بأمداحه الأدبية في فخر العالمين (ص) : " له في مدح النبي (ص)، بدائع قد خضع لها البيان وسلم أعجز بتلك المعجزات نظماً ونثراً ، وأوجز في تحبير تلك الآيات البينات فجراً وسحراً ، ورفع للقوافي راية استظهار تخير فيها الأظهر فعجم وعشر وشفع وأوتر ".(١١)

شيوخه وتلاميذه :

للفازازي جملة من المرويات تدل على ذلك أسماء من روى عنهم من المشايخ ، فقد " روى عن أبي الوليد بن بقي ، والسهيلي ، وأبي عبد الله بن الفخّار ، وأبي عبد الله التجيبي وغيرهم " (١٢) ، وفصّل بعد ذلك –بالإعتماد على هذة الرواية المبكرة – المقّري القول فيما أخذه الفازازي عن شيوخه سماعاًعليهم ، وإجازة بعضهم إياه فيما أخذه عنهم ولا سيما من طبقة الحفّاظ ، قائلاً : "وله سماع في الحديث ورواية ، وفهم بقوانينه ودراية سمع من أبي الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقي القاضي ، ومن أبي الحسن جابر بن أحمد القرشي التاريخ وهو آخر من حدث عنه ، ومن أبي عبد الله التجيبي كثيراً وهو أول من سمع عنه في حياة الحافظ أبي طاهر السلفي إذ قدم عليهم تلمسان ، وأجازه الحافظ السهيلي وإبن خلف الحافظ وغيرهم ".(١٣)

وممن سمع منه عشرينياته النبوية ضياء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عفيف الغرناطي (١٤) ، " وروى الناس عنه منهم الأستاذ أبوعبد الله ابن سعيد الطراز وغيره " (١٥) ، ومن أبرز تلاميذه ابن الفخّار الرعيني الإشبيلي الذي أخذ عنه كثيراً بفخر حتى أجازه مراراً للرواية عنه ، قال الرعيني : " وقد أخذت عنه كثيراً من كلامه سماعاً من لفظه وقراءةً عليه ... وأجاز لي حمل ماروا‌ه وما له من نظم ونثر مراراً عدة ، وقرأت عليه الأربعين حديثاً لشيخه الحاج أبي عبد الله التجيبي ، وهو يمسك علي أصله الذي سمع فيه على مخرجها وحدثني بها عنه (و) تفقهت به في بعض الارشاد لأبي المعالي... وبالجملة فقد كان من مفاخر زمانه" (١٦) ، وقال أيضاً بعد أن اشترك معه في الكتابة في الأندلس الى أن وافته المنية : كان" أول لقائي له بإشبيلية في عام أربعة عشر وست مائة ، واتصلت صحبتي وملازمتي له واشتراكي في الكتابة معه بقرطبة وإشبيلية ، الى أن كان آخر عهدي به في رجب ، عام سبعة وعشرين وست مئة " (١٧) وهوتاريخ وفاته رحمه الله ، ومعلوم ان أبا زيد الفازازي وأخاه أباعبد الله محمد القاضي الفازازي الأكبر منه سنا قد كتبا لأمراء المغرب ونالا حظوة وجاهاً لديهم (١٨) ، ومن أشهرهم المأمون بن المنصور بن

يوسف بن عبد المؤمن الذي كتب له أبو زيد (١٩) ، بيد ان أبا زيد نالته جفوة من السلطان بقرطبة واشبيلية فلزم داره مدة (٢٠) ، ويعزوالأستاذ عبد الحميد الهرامة سببها الى أمور تتعلق (بالخدمة الكتابية السلطانية)، قائلاً بهذا الشأن: " ولعلها كانت بسبب تبرمه من الخدمة لدى السلطان" (٢١) والحق أن هذا رأي وجيه تسنده الروايات التاريخية الموثّقة ، فقد كان الفازازي " متبرماً بتنشبه في الخدمة "(٢٢) ، و" كان متلبساً بالكتابة عن الولاة والأمراء ملتزماً بذلك كارهاً حريصاً على الانقطاع عنه "(٢٣)، وثمّة رأي آخر، إذ ربّما كان موقف المأمون من التصوّف وأتباعه سبباً في نشوب الخلاف بينه وبين الفازازي الذي بدت منه ميول التصوف كما أشارت الى ذلك بعض المصادر، وفي ضوء التلمذة على بعض كبار المتصوفة ، فـ "التسامح الظاهري للخليفة المأمون مع المتصوفة لاينفي بالطبع أنه خلال فترة خلافته ظهرت خلافات بين بعض أتباع التصوف والسلطات الموحدية .وللأسف لا توفر المصادر إلا القليل من المعلومات بهذا الخصوص. وهذا ما يبدو بخصوص حالة الشاعر الصوفي القرطبي أبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن يخلفتن الفزازي (ت.٦٢٧ هـ/١٢٣٠ م) فقد تتلمذ على يد متصوفين كبيرين هما أبو الحسن ابن الصائغ، وأبو الصبر أيوب الفهري" (٢٤)

<u>عصره:</u> مثَّل العصر الموحدي الذي عاش فيه الفازازي ، حلقة مهمة من حلقات الحركة العلمية في المغرب والأندلس ولاسيما في الماضي القريب من إسهام الدولة المرابطية الفكري اذ" ساهم المرابطون في الحركة العلمية وأنجبت الأندلس في عهدهم عدداً من كتاب المفكرين " (٢٥) وهذا أمر ليس بغريب عن سالف الأيام في البلاد المفتوحة بوجه الوافدين ، إذ " كانت إسبانيا منذ فجر التاريخ بلد ثقافة وموطن علم وفن ، وضع الفينقيون أساس ذلك كله وزاد عليه اليونان والرومان ، ثم أقبلت المسيحية فأنعشته وسارت به خطوات الى الأمام ، ولعل في هذا بعض ما يفسرلنا سراً من أسرار الإزدهار الفكري السريع الذي حققه المسلمون في اسبانيا على قلة اتصالهم بمنابع الثقافة القديمة والوسيطة في العالمين الإسلامي والمسيحي "(٢٦)

ومن أبرزمظاهرالحركة العلمية أيام الموحدين إنتشار الخزانات العلمية فـ" في عهد الموحدين انتشرت الخزانات العلمية ، وكثر إقتناء الكتب وانتساخها في خزانات الدولة والخزانات الخاصة " (٢٧) ، فضلاً عن ازدهار المعاهد العلمية ورعايتهم للفنون والعمارة ، إذ " ازدهرت المعاهد العلميةأيام الموحدين بالمغرب والأندلس وكانت المعاهد الأندلسية في

إشبيلية وقرطبة وغرناطة وبلنسية ومرسية يومئذ مجمع العلوم والمعارف، ومقصر الطلاب من كل فج ، وفيها المكتبات التي تضم الكتب النفيسة والتآليف النادرة في مختلف العلوم والفنون وعني الموحدون أيضاً برعاية الفنون وأُقيمت في عهدهم طائفة من المساجد والأبنية الفخمة التي تمتاز بجمالها الفني "(٢٨) ، وفضلاً عن ذلك شهد هذا العصرمن جديد نشاطاً في الرحلة لطلب العلم بعد أن حرص الأُمراء والحكام على الإهتمام به وبأهله لاستعادة أمجاد الماضي (٢٩)

وكان هذا العهد وما سبقه عهداً ذا رسالة دينية وعقيدة فكرية ، إذ يرى أحد الدارسين " ان المرابطين قد نجحوا الى حد كبير في تحقيق رسالتهم ، ولعل أبسط دليل على ذلك هو ان تلك المناطق التي كانت موطناً للمتنبئين وذوي العقائد الضعيفة ، قد أصبحت في القرنين السادس والسابع أي في عهدالمرابطين ثم الموحدين من بعدهم من أشد المناطق تديناً" (٣٠) ، ولعل منهاج الحركة السلفية في عهد الموحدين الذين " كانوا ينبذون كتب الفروع ولا يهتمون إلاّبكتب الأصول من قرآن وحديث " (٣١) فتح عليهم بأن يزعموا بـ " أحقيتهم في لقب الخلافة الإسلامية ، لأنهم على حد زعمهم أكثر المسلمين إيماناً وأصحهم مذهباً" (٣٢) ولاسيما بعد أن " عاد العلماء الى الاجتهاد والى الكتاب والسنة ، واستنباط الأحكام منهما وعدم العمل بأي مذهب من المذاهب المعروفة "(٣٣) ، وقاد هذا المنعطف التاريخي الى " إهتمام الأندلسيين بالناحية الدينية وبالدراسات القرآنية ... ولم ينسوا دراسة شخصية الرسول الكريم (ص)وحديثه الشريف ومناقبه ومعجزاته الخالدة "(٣٤)

ولم يكن الشعر الأندلسي بمنأى عن التأثر المتنوّع الأبعاد بهذا التيار وهو في أوج عظمته فـ " قد تنوعت أبعاد هذا التأثير على الشعرالأندلسي في عهد الموحدين من جوانب كثيرة تتصل باللغة والأسلوب والمعاني والأفكار التي تندرج ضمنها قصيدة الشعر، وشعر المديح النبوي يكشف لنا عن علاقات وثيقة ووشائج متينة ألفت بين شخصية الرسول(صلى الله عليه وسلم) والشعراء أنفسهم ، فقد كان حجم هذا التأثير كبيراًمن خلال كثرة الشعراء الذين مدحوا الرسول (ص) وحجم هذا الشعر قياساً الى أشعارهم الأخرى –إذ لم يكونوا بمنأى عن أكبر مصدر من مصادر الشريعة الإسلامية بعد القرآن – الحديث الشريف " (٣٥) ، ولعل انبعاث هذا الغرض الشعري في ضوء قيامه على ثمة بواعث (تحفيزية)كانت كفيلة بأن تنهض بالأمة آنذاك ، بوصفها من أبرز أسباب انتعاش(النبويات) في عهد

الموحدين (٣٦) ، ولاسيما بعد أن قامت على أشكال فنية عديدة ترضي الأذواق كافة ، فمنها ما جاء مراعياً لعناصر القصيدة العربية ، ولاسيما في ضوء الالتزام بعناصرها ومنها المقدمة الغزلية (٣٧) ، ومنها ماجاء على غير ذلك بحسب ما استحدث من فنون وأغراض شعرية في الأندلس وسواها (الموشّحات ، المخمّسات ، البديعيات ، ...) ، يأ تي هذا على الرغم من" ان الشعر في الربانيات والنبويات قليل الإجادة في الغالب ، ولا يحذق فيه إلاّ الفحول"(٣٨)

وهكذا كان الفازازي من أبناء العصرالموحدي الذي لايقل شأناً عن عصور إزدهار العلوم والمعارف والآداب وليس كما يدعي بعضهم بقوله زاعماً : " ويمتاز عصر الموحدين بانحطاط الأدب كما يمتاز بانحطاط الأخلاق واختلال في الإيمان " (٣٩) ، فالشواهد المتوافرة من جملة المصادر التي بين أيدينا لاتؤيده فيما ذهب إليه.

٢- أبو بكر محمد بن مهيب (ت٦٤٥هـ) :

اسمه وكنيته ونسبه : هو" محمد بن مُفَضل بن مُهيب اللّخمي ، يكنى أبابكر ، من أهل شِلب من العليا"(٤٠)

حاله ومشيخته ورحلاته : " كان منقبضاً عن الناس ، أديبا شاعراً ، خمّس عشرينيات الفازازي ... أخذ عن أبي العباس أحمد بن منذر الإشبيلي ، تلا عليه بإشبيلية ، وعلى عباس ابن عطية أبي عمرو. روى عن أبي محمد عبد الكبير الإشبيلي ، وصحب أبا الحسن بن زَرْقون وتفقّه عليه وانتقل الى المرية . فصحب أبا اسحق البِلفيقي وأخذ عنه ، وتزوّج ابنته وأجاز له أبو عبد الله بن هشام الشواش وغيره ، ثم انتقل آخر عمره الى سَبْة... ودخل غرناطة ، قال الشيخ : دخل غرناطة مرتين ، أخبرني بذلك الشيخ القاضي أبو الحسن ابن عُبيدة ، وهو بصير بأخباره ، إذ هو من أصحاب سلفه ، وممن رافق جدَّه في الكَتْب عن بعض الأمراء مدة ، وفي الخطابة بألَمريّة أخرى "(٤١)

٣- ديوان الوسائل المُتَقَبَّلة في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) :

هو المجموع الشعري الذي ضمّ العشرينية النبوية أوالقصائد العشرينيات التي" أنشأها الفازازي سنة ٦٠٤هـ في حاضرة قرطبة من بلاد الأندلس ورواه عنه الإمام الحافظ الشهير يوسف بن مسدي المهلبي في شهر شعبان سنة أربع وعشرين وستمائة وحدث به في المسجد الحرام من العام نفسه " (٤٢) ، أي في حياته ، "وحدث بها آخرون في الاسكندرية وغيرها " (٤٣)

وفي الغاية من نظمها قال الناظم رحمه الله وأسكنه فسيح جناته :" وفرغ خاطره لها ، على توالي القواطع ، وتتابع الأشغال ، ورجا بركة خاتم الرسالة ، وغاية السؤدد والجلالة محو مالسلفه من خطأ في الفعل ، وزلل في المقال ، والله ولي القبول للتوبة ، والمنان بتسويغ هذه المنة المطلوبة فذلك يسير في جنب قدرته ، ومعهود رحمته الواسعة ومغفرته " (٤٤) وخمّس عشرينياته المذكورة أبو بكر محمد بن مهيب ، كما مرَّذكره من قبل ، وقد ذاعت في بعض البلدان الافريقية ، قال أحد الدارسين المحدثين :" وذاع هذا التخميس في جنوب الصحراء الكبرى وبخاصة في غرب أفريقيا وشاهدت الناس يقرأونه في عيد المولد النبوي في المدن المالية بعامة وفي مدينة تنبكتو بخاصة وأكثرمايقراونه من ذلك مخطوطات تحتوي العشرينيات وتخميسها ، كماشاهدت بعض مخطوطاته في مدينة غدامس الليبية "(٤٥) ، وقال الشيخ أبو بكر في بيان سبب تخميسه القصائد العشرينيات بتواضع مقترن بالإشادة بمنشأها: " فانبعثت لتخميس قصائده المذكورة مزدلفاً لمشاركته في ثوابها بنسبة التذييل والتخميس معترفا لمنشئها رحه الله بحسن التأصيل والتأسيس . متصفاً بالعجز عن ذروة الإحسان التي أقدره الله على رقيها في سبيل التنزيه لنبيه الكريم والتقديس

وابن اللبون اذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البذل القناعس

ولست من رجال أبي زيد ولا من أقرانه ، وقد بلغت من فضيحة نفسي إذ جاريته في ميدانه وقرنت مخشلبي وسيء جلبي . بلؤلؤه ومرجانه . ما لم يبلغه كل معتاط ما ليس في وسعه متكلف ما لامعين له عليه من مادة علمه وجودة طبعه "(٤٦) ، وفضلاً عن هذا هنالك تخميس آخرلهذه العشرينيات لمجهول وهذا أمر غير مستبعد ، قال أحد الدارسين :" ولهذه العشرينيات تخميس آخر لمجهول "(٤٧) ، وتجدر الاشارة الى أن الديوان منظوم على البحر الطويل وجاء جرياً على العادة المتبعة في تسمية الكل بالجزء قولهم : " وهذه القصيدة من بحر الطويل المقبوض ضربه ووزنه : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن مرتين ، ويجوز قبض فعولن في هذا البحر أينما كان فيصير فعول ، والواقع أول البيت يجوز فيه الثلم فيصير فعلن ، والثرم فيصير فعل ، ويجوز قبض مفاعيلن وكفه على سبيل المعاقبة ، فيصير في القبض مفاعلن وفي الكف مفاعل"(٤٨)

<u>عناوين الديوان</u> : يبدو أن لهذا الديوان أكثر من عنوان يذكر، أشار الى ذلك القدماء والمحدثون ، إذ جاء في الإحاطة أن عنوانه :" الوسايل المتقبلة والآثار المسلمة المقبلة "(٤٩) وقال د.منجد مصطفى بهجت في تسمية القصائد العشرينية ما نصه :" وبعض

المصادر تسميه : سفينة السعادة لأهل الضعف والنجادة "(٥٠) ، ولعل العنوان الأخير يسلط الضوء على واقع الأمة آنذاك المغلوب على أمر أهلها ، إذ ينبع مما مرت به من محن وما شهدته من نكبات أفضت الى شد العرى بتيار المديح النبوي بما يحمل من مضامين تخفف من وطأة مصاب المسلمين الأليم بعد أن نوؤا بحمله يومئذ .

طبعاته : للديوان طبعات مذيّلة بشروح لغوية ، مع بعض العناية بضبط الألفاظ ، وفيها ثمّة أخطاء إملائية وعروضية ، وهذا راجع الى انها لم يقيض لها ان تخضع لمنهاج التحقيق العلمي الرصين، وهي:

١- طبعة(قديمة صدرت عن المطبعة الميمنية) ، مصر ، ١٣٢٢ هـ . وفيها أثنى على الديوان الشيخ محمد الزهري الغمراوي بقوله : " وقد احتوى هذا الديوان على دراري محاسن أخجلت عقد الجوزاء ، وجواهر ثناء أذرت بمحاسن الحسناء ، وكيف لاوهو في مدح من جمعت له سائر الكمالات وحصرت في هديه جميع الخيرات "(٥١)

٢- طبعة بيروت ، ١٩٠٥ .

٣- طبعة(نيجيريا) التي أشار اليها الأستاذ عبد الحميد الهرامة (منفرداً) (٥٢)

٤- طبعة مطبعة المنار ، تونس ، ١٣٧٨ هـ (المعتمدة في الدراسة الحالية).

شروحه: للعشرينيات ثمّة شروح مفيدة عديدة ، منها :

١- النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية ، للشيخ العالم محمد بن مَسنَةْ البرنوي .

٢-النوافح العطرية المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية ، للشيخ محمد بن غبريم التيجاني ، شركة القدس ، القاهرة ، ط٢(معتنى بتنقيحها وتصحيحها) ، ٢٠٠٧ .

٣- شرح تخصيصات المعشرات الفازازية ، لأبي العباس التنبكتي (٥٣)

وصفوة القول ان ديوان الوسائل المتقبلة كان بمجمله جزءاً من النتاج الأدبي – الشعري في العصر الموحدي فـ " هذا النتاج يتكون من دواوين شعرية ، اما جمعت في عصر أصحابها أو فيما بعد ، ومن قصائد شعرية مستقلة ومنظومة على نمط معين ، مثل المُعشرات والعشرينيات والوتريات ، أوالتخميسات والتربيعات ، وكذلك من منظومات أو مجموعات أوموشحات دينية ، ثم هنالك القصائد الشعرية في مدح الرسول والتشوق الى الديارالمقدسة أو في التوسل ، أو في مدح النعال النبوية الشريفة "(٥٤) ، وفضلاًعن عشرينيات الفازازي(المعروفة) كما وصفها التنبكتي(٥٥) ، والتي قال فيها الرعيني الإشبيلي من قبل :"

لم ينظم أحد في مدح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مثلها " (٥٦) ، وقال فيها ابن الزبيركذلك :" ونظم عشرينياته المعروفة يمدح فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم وأجاد فيها كلّ الإجادة " (٥٧) ، وهنالك مؤلفات أخرى له وآثار أشار اليها وجمعها بعض تلاميذه سواء في حياته أم بعد مماته ، فضلاً عن بعض الأدباء والمؤرّخين القدامى والباحثين المحدثين المتتبعين اخباره هي :

١- أشعاره ومعشراته الزهدية(٥٨) ، وجاء في ترجمته لمعشراته الزهدية قوله :" المعشرات الزهدية والمذكرات الحقيقية الجدية ، ناطقة بألسنة الوجلين المشفقين ، شائقة الى مناهج السالكين المستبقين ، نظماً متبركاً بأغراضهم وإشاراتهم ، وقابضاً عنان الدعوى عن مداناتهم مهتدياً إهداء السنن الخمس بالأشعة الواضحة من إشاراتهم ، مخلداً دون أفقهم العالي الى حضضه ، جامعاً لحسن أقواله ، وقبح أفعاله ، بين الشيء ونقيضه عبد الرحمن "(٥٩) ، وقال التنبكتي :" له أشعار في الزهد سارت منه " (٦٠) ، و يبدو انه كان مكثراً منها ولذلك فـ " الزهديات فيما يبدو كانت عليه أغلب ، ولعل ذلك هو السبب الذي جعل صاحب المجموع لايورد له إلاّ قطعة واحدة صغيرة ذات أربعة أبيات"(٦١)

٢- المعشرات الحبية(٦٢)، وجاء في ترجمته لها :"النفحات القلبية واللفحات الشوقية منظومة على ألسنة الذاهبين وجداً ، الذايبين كمداً وجهداً ، الذين غربوا وبقيت أنوارهم واحتجبوا وظهرت آثارهم ، ونطقوا وصمتت أخبارهم ، ووفوا العبودية حقها ، ومحضوا المحبة مستحقها ، نظم من نسج على منوالهم ، ولم يشاركهم إلاّ في أقوالهم فلان "(٦٣)

٣- القصائد العشريات ، قال فيها الشيخ محمد الزهري الغمراوي مستحسناً إياها : هي" من غُرر القصائد ومن أكبر الدلائل على ما لمُنشئها من البراعة والإقتدار الزائد "(٦٤)

٤- مادة التحقيق وجادة الطريق (٦٥)

٥-خطاباته عن الأمراء والولاة ، ورسائل الإخوانية (٦٦)

٦- خطبه للواعظ أبي عبد الله بن الحجام (٦٧)

٧- الطرر التي رد بها على المِكْلَاتي (٦٨)

<u>الدراسةالتحليلية</u> : لاشكّ ان إسهام البعدين المادي والروحي في تلوين التجربة الشوقية في ديوان الوسائل المتقبلة ، وتخميسه في تصورنا يعد أمراً يكفل لنا بيان طبيعة تلكم التجربة الشعورية لمقصد بحثي إستدلالي ، ومع ان البعدين يقعان ضمن حقل واحد من التأثير والتأثر بين بعضهما ، بيد ان طبيعة الدراسة القائمة على الوصف التحليل -كما ذكرنا في

المقدمة- تجوّز لنا الى حد ما إجراء فصل موضعي بالنصوص ، وبالتالي الوقوف على أكثر من جانب دلالي ، أو ان شئت بعبارة أخرى الوقوف على نقاط محددة تفرّق بين (البعدين)المفترضين حتى وان كان في ذلك تداخل لايخفى على القارىء الكريم ، فالأهم أن تبدو للجميع ثّمة دوال تقود الى تسجيل بعض الملاحظات عن توافر أكثر من وجهة بدت متنفساً للشوق الجامح الى النبي(ص) ، ولاسيما بعد الإفادة من آليات مرصودة تؤلّف بمجملها لوحة شوقية تلونت من أكثر من مصدرفي ضوء النظرة التجزيئية الى مجمل التجربة الشعرية ، التي تنتظم -إن لم نكن مخطئين- حول فقرتين إثنتين مترابطتين، فهما من حقل أومقترب دلالي واحد ، هما:

١- <u>المكان والرحلة اليه والأثرالنبوي الشريف</u> :

منذ القدم مثّل المكان محوراً أثيراً للشوق ، إذ لايمتلك المشتاق وهو الذي نأت به الأقدار حيلة سوى بث ما يختلج في صدره ، وينفث نفثة مصدور ، غلبه شوقه على أمره للمكان ، ولاشكّ هنا ان البعد المكاني كان بارزاً في معرض الشوق للأماكن النبوية ، ولاسيما وان بعضها قد تشبع بدلالات ثرة نظراً لإرتباطها بأحداث غيّرت مجرى التاريخ في يوم من الأيام ، وهذا ما أوجب بالضرورة قيام أو نشوء(الشوق المكاني) بكل ما تحمل هذه التسمية من دلالات تصدرعنها بتأثير الدين الإسلامي الذي أضفى بنقلة نوعية على الفرد وذلك بإخراجه من حيّز ضيق الى آخر أوسع وهذا ما يفيده عنصر المكان من جانب ،إذ " نعرف ان الإسلام قد جعل في مقدمة أغراضه العمل على تغيير الإنسان العربي بغية تحويله من الذات الفردية المنغلقة في مجتمعات صحراوية الى عالم كوني متفتح ومتصل بالله أشد الإتصال ، ولقد كان القرآن وسيلته الى ذلك فدعا الى التسامي الحضاري على كل ما هو فردي وأناني وذاتي ، وكان المطلوب هو الخروج من ضيق الدنيا ، ومحدودية الذات الى رحابة الكون كله ، والدخول في عالم سماوي شفيف . ثم كان دور النبوة في تأكيد هذا الدور" .(٦٩)

ولذلك كان المكان المَدِيني نقطة الإرتكاز الأبرز حضوراً ضمن هذا الحيّزفقد كانت المدينة (يَثْرِب/ طَيْبَة) العنصرالمكاني الأشهرفي هذا الميدان ، فهي دار الهجرة النبوية ثم دار الإنتقال الى الرفيق الأعلى ، ومن وحي البكاء والوقوف كما فعل الشاعر قديماً وهو يصف الدار ويشيد بساكنيه ، نقرأ التخميسين الآتيين : (٧٠)

دُمُوعٌ عَلَى الخَدَّيْنِ تُرْسِلُ مُزْنَهَا وَنَفْسٌ لِيَوْمِ البَيْنِ تدْئِبُ حزْنَهَا

فَـيَا قَـوْمِ وَالآمَـالُ تُحْـسِنُ ظَنَّـهَا قِـفُوا العِـيسَ فِـي أعْـلامِ يَثْرِبَ إنَّـهَا
رِيَـاضٌ لِمَـنْ يَـرْنُو وَمَنْ يَـتَنَشَّـقُ
فَـأَكْـرِمْ بِهَـا مِنْ مَـعْهَدٍ أيِّ مَـعْهَدِ تَـأَرَّجَ مِـنْها الْعَـرْفُ لِلْمُـتَوَدِّدِ
وَأَشْـرَقَ مِـنْها النُّورُ لِلْمُـتَعَبِّدِ قَـرَارةُ خَـيْرِ الْعَـالَمِينَ مُحَـمَّدِ
فَـلا غَـرْوَ أَنْ تُلْفَـى تُنِـيرُ وَتَعْـبَقُ

ولعلّ المَطلع أو الاستهلال قد فعّل من وتيرة الشوق باستذكارطرف من السيرة النبوية العطرة التي تقطع الزمان والمكان اختصاراً ، إذ" لا يخفى أيضا ما في هذه المطالع من شدة شوق ويتجلى ذلك بشكل خاص في قدرة الشاعر عـلى استحضار الغائب متخطيا الزمان والمكان " (٧١)

ويبدو ان طلب دلالات المكان بشوق جرى في ضوء تقليد قديم أفاد من الرحلة المرتبطة بالمكان(موقعاً) من طرفين في ضوء الإنتقال المألوف من مكان الى آخر كما في أعلاه – هذا على اعتبارتحقق الرحلة– ، أو غير المتحققة بعد أصلاً في ضوء شحذ الهمم اليها حباً واحتساباً واكراماً للنبي الهاشمي (ص):(٧٢)

فَـدُونَـكَ فَـاقصِدْهُ هَـوًى وَمَحَـبَّةً وَفِـي طَـيْبةِ مَـرِّغْ عِـذَارَيْكَ حِسْبَةً
وَحَسْـبُكَ أنْ تَسْـعَى لِمَكَّـةَ قُـرْبَةً ثَـبِيرٌ وأُحُـدٌ أكْـرَمُ الأَرضِ تُـرْبَةً
مُـهَاجَرُهُ هَـذَا وَذلِكَ مَـبْعَـثُ

ومن البديهي أن يقترن التوكيد على هذا الإنتقال المكاني الموجّه للمتلقي (الفرد أو الجماعة) –لاخلاف في ذلك– بتمني أن تحظى الذات الشاعرة بالسفر الى ما تروّج له وتدعو بلهفة حارة ، مما قد يمنحها قدراً من المصداقية المطلوب توافرها في رسالة القول على الأقل في نطاق الموقف التعبيري القائم ، كما في التخميس الآتي : (٧٣)

أَلالَـيْتَ شِعْـرِي وَالخُطُـوبُ مُلِمَّـةٌ وَأَمْـرِيَ إبْهَـامٌ عَـلَيَّ وَغُـمَّةٌ
أَتَنْهَـضُ بِـي نَحْـوَ المَـدِينَةِ هِمَّـةٌ غُلِبْـتُ عَلَـيْهَا وَالشَّـوَاغِلُ جَمَّـةٌ
فَيَـا لَيْتَـنِي أَدْرِي مَتَـى أَتَفَـرَّغُ

ويسهم القصد من الرحلة في إسناد دلالة (أهل / المكان) اللذان لاينفكان عن بعضهما ، إذ تقوي بعض معطيات الرحلة أبعاد المكان بعد أن ينبع حب المرتحل لأهله من الصميم ، فكل شيء سواه زائل من القلب المخلص الذي لايجيد إلاّ التعلق بشغف بمحبوبه : (٧٤)

سَـلا قَلْـبُ مَـنْ يَسْـلُو وَقَلْبيَ مَـا سَـلا وَعَـنْ كُـلِّ شَـيْءٍ مَـا خَـلا حُـبُّهُ خَـلا

يَــعِزُّ عَلَيْنَــا أنْ نُقِــيمَ وَتَــرْحَـلَ خِــفَافُ الْمطَــايَا نَحْــوَهُ تَسِـــمُ الفَـلا
وَلَــيْسَ لَهَــا إلا الـعَقِــيقَ مَــنَـوَّخُ

ولعلّ هذا التعلق يقود من جانب الى التساؤل المنطقي في معرض محاسبة النفس القاعدة عن الزيارة (٧٥) ، ويبدو ان تبريرهذا التخلف كان بالتعويل على حكم القضاء ، ولعله جاء من هذا المنطلق من أجل ان تكتب للرحلة الديمومة وهي في طريق بيان التجربة المؤلمة ، على الرغم من جميع المعوقات التي حالت وتحول دون تحقق الزيارة المرتقبة من نحوما جاء في التخميس في أدناه : (٧٦)

سمـَتْ هِمَّــةٌ نَحْوَ اللَّحــاقِ بِـهِ سَـمَـتْ وأَخَّـرَهَا عَمَّـــا إِلَيْــهِ تَـقَـدَّمَـتْ
قَضَــاءٌ جَـرَى فِيهِ عَلَــى الرَّغْـمِ سَلَّمَتْ وَجَــدْنَـا بِــهِ وَجْـدَ الظَّمَـاءِ تَنَسَّمَـتْ
نَسِـيمَ الـزُّلاَلِ العَـذْبِ فِـي القَيْظِ فِـي الـدَّوِ

وفي ضوء ما سبق يكاد يظهران بعض خصوصية المكان النبوي قادت الى تحشيد ثمّة دلالات يسند بعضها بعضا ليس من وجه واحد فحسب ، بل من وجوه عديدة ، وذلك تحت راية معتقد ديني يتناسب مع الأجواء التعبيرية فـ: (٧٧)

مَحَـبَّتُـهُ دِيْــنٌ زَكَـا وَخَـلِيـقَــةٌ ومَــدْحِـــي لِحَـــقِّ الحُـبِّ فِيـهِ حَقِـيقَةٌ
سَتُجْــزَى بِـــهِ نَفْـسٌ إِلــيْهِ مَشْـوَقَةٌ ثَنَايَـا ثَــنَائِـي لِلْجِنَـــانِ طَـرِيْقَـةٌ
فَـأَ قْسِمْ عَــلَى الجَـدْوَى فَلَسْتَ تُحَـنَّـثُ

وهذا ما ترتب عليه موقف ، فقد هُنِّأَ الركب المرتحل لهذه الغاية النبيلة ، مع حفاوة التمنيات القلبية أن يحظى القائل باللطف الربّاني في ان تكتب له أيضا الزيارة ، وقد تعذرت حيئذ ، ولا يمتلك والحال هذه سوى السلام المؤكد على النور: (٧٨)

أَحـقًّـا غَـدَا الـرَّكْبُ المُغِـذُّ إِلَـى مِـنَـى وَســارُوا إِلَــى الْقَــبْرِ الْـمُجَلَّـلِ بِالسَّـنَا
هـَنِيئًا لَهُــمْ وَاللّـهُ يَلْـطُـفُ لِــي أنَـا قُـصَــارَايَ والأَيَـــامُ تمَـطُـلُ بِـالمُنَــى
سَـلامٌ كَـمَـا هَـبَّ النَّــسِيمُ الْـمُفَتَّــقُ

سَلامٌ عَـلَـى الـنُّورِ الَّـذي جَـاءَ بِالهُـدَى سَــلامٌ عَـلَى الـبَدْرِ اُلمسَـمَّــى مُـحَمَّـدا

وما تقدم قد يدعو من زاوية الى الحديث بعض الشيء عن التعلق بالمكان دينياً ، ولا سيما بعد أن ضمّ بين جنباته ما يستقطب اليه النفوس قبل الأبدان وهي : القبر الشريف ، و الروضة وتمثال او مثال النعل ، وقد لانبتعد عن الصواب إذا ما قلنا ان هذا النهج لايغاير تعلق الشاعر القديم بإبراز معالم المكان والاشادة به في مقدمة قصيدته ، ولاسيما الذي

غلبته المشاعر والذكريات المتأصلة مكانياً تلكم المرتبطة بالمحبوب بعمق ، ولعل هذا النهج السائر هو الذي أسهم من وجه في إظفاء مسحة من الصفات الخالدة عليه أو المقدسة على حسب طبيعة الغرض الشعري بعد أن تأطر دينياً ، كما في التخميس الآتي : (٧٩)

هُــوَ المُصْطَفَى المَـحْبُوبُ طَـبْعاً وَقُرْبَـةً تَـقَـدَّسَ ذَاتــاً ثُـمَّ قَـبْراً وَتُـــرِبَةً
أَقُــولُ وَأَعْــنِيهُ هَــوَى وَمَـــحَبَّـةً أُحِــبُّ رَسُــولَ اللـــهِ شَــوْقاً وَحِسْبَةً
لَعَــلِّي غَـدًا مِـنْ حَوْضِـهِ لا أُحَـــلَّأُ

مَــلائِكَــةُ الرَّحْمَــانِ قَــالَتْ بِفَضْــلِهِ وَحَنَّـــتْ كَمــا حَـــنَّ المُحِــبُّ لِوَصْــلِهِ
حَـرَامُ عَلَــى الأَيَــامِ إِيْجَــاد مِثْلِــهِ أَحِــنُّ إِلَــى تَقْــبِيلِ مَــوْطِىءِ نَعْـــلِهِ
لَعَلِّــيَ أَرْوَى بِــالَّــذِي كُنْـتُ أَظْمَــأُ

وعلى افتراض ان للمكان مفهوماً رمزياً يقع ضمن إطار العمل الفني ، فقد استدعى تكوينه البنائي قيام نسيج يتأثر به فن التعبير الشوقي أكثر من كون المكان مجرداً عن أي قيمة بنائية ومن ثم مختلفاً فـ " إذا كان المكان كمفهوم يبتعد عن الواقع ... ، فإن المكان في العمل الفني يبتعد هو الآخر عن المكان في الأرض ، ولكن ثمّة علاقة أكثر وشاجة ، ذلك ان درجة الإنعكاس التي يثيرها مكان ما له ملامحه وحضوره وكيانه على الفن تكون أشد من سواه ولذا يمكن أن يكون ثمّة تشابه كبير هنا ولا يكون هناك ، فالشروط الموضوعية التي يوجد فيها كلا المكانين مختلفة ، ولذا لابد وأن يكونا مختلفين أيضا ".(٨٠)

ويبدو من إستقرائنا النصوص ان المحيط المكاني(للقبر) إن هو إلاّ ينبوع للشرب الروحي والإرتواء ، الذي يغني يسيره عن كثيره فهذا هو ديدن الأصالة التي لا تعلوها شائبة تذكر القادمة من شبه فضاء صوفي ارتبط فيه مصدر السقيا المكاني دنوياً بمصدر آخرأُخروي (حسي) هو(الحوض) وكلاهما له صاحب واحد هو النبي (ص) : (٨١)

لَـقَدْ ظَمِـــئَتْ نَفْسِـــي بِعِلْـمِ إِلَهِـــهَا وَلَـوْ كَرَعَـتْ فِـي طَيْبَـةِ مِـلْءَ فَاهِـــهَا
إِذا ظَفِـــرَتْ بِالُّرشْـدِ بَعْـدَ سَفَاهِـهَا صَــلاحُ فُــؤَادي جَـرْعَـةٌ مِـنْ مِياهِـهَا
وإِلاَّ فَـيَكْفِـينِي التَّعَـــلُّـلُ بِــالمَصِّ

ولذلك كانت من مزايا القبر النبوي انه مقصد قلوب طلاب الحقيقة الساعين اليها بهممهم العالية شرقاً ومغرباً ، ومعلوم ان أهل العلم ذوو حاجات ملحّة هي ميزتهم عمن سواهم من عامة الناس : (٨٢)

فُـؤَادِي مَـــعَ الُرّكْبَـانِ صـارَ مُصَـوِبًا لِــقَـبْرِ نبَـيٍ آثَـرَ الحَــــقَّ مَـذْهَـبَا

وَلمَّا اعْتَلَى فِي الدِّينِ ذَاتاً وَمَنْصِباً ضَرَبْنا إليهِ العِيْسَ شَرْقاً ومَغْرِبا
وَفِي النَّاسِ مَقْبُوضُ العِنانِ عَنِ النَّهْضِ

ثم ان هذا القبر بباسطة لرسول قرشي كريم الأصل والمحتد ، لذا تشتاقه بلوعة النفوس العاشقة له (ص) : (٨٣)

فَلِلّهِ صَبٌّ بَاتِ وَهْوَ مُوَرَّقُ وَأَكْبَادُهُ بِالشَّوْقِ تُذْكَى وَتَحْرَقُ
لِقَبْرِ رَسَولٍ شَأْوُهُ لَيْسَ يُلْحَقُ كِلا طَرَفيْهِ فِي السِّيَادَةِ مُعْرِقُ
فَمَا شِئْتَ مِنْ أَسٍّ كَرِيمٍ ومِنْ سمَكِ

وهو المُفَدَّى بالنفس، وهو القليل بحق صاحبه السيد : (٨٤)

بِنَفْسِي لَهُ مِنْ يَثْرِبٍ خَيْرُ مُلْحَدِ أَكَادُ لَهُ أَنْقَدُّ لَوْلا تَجَلُّدِي
فَبِاللهِ خَلُّونِي لِغَيْبِي وَمَشْهَدِي فَواللهِ مَا أَظْهَرْتُ مِنْ حُبِّ أحْمَدِ
مَعَ الجُهْدِ إلاَّ البَعْضَ مِنْ كُلِّ ما أُخْفِي

ومما تقدَّم ايضاحه كان من البديهي أن تمنح بعض الأمكنة السكينة النفسية ، ولاسيما إذا كانت مشبَّعة بأبعاد روحية تظهرفي النص الأدبي ، وتعد الروضة الشريفة في المدينة المنورة أحد هذه الأمكنة التي يظفر بها الفؤاد المُعَنَّى بالشفاء من أثر الإشراقات النبوية التي تعمّ أرجاءها كما أفاد ذلك قول الفازازي في إحدى عشرينياته النبوية من ديوان الوسائل المتقبلة : (٨٥) :

شِفَاءُ فُؤَادِي فِيهِ مِنْ بُرَحَائِهِ وَقَدْ حَالَتْ الأَقْدارُ دُونَ شِفَائِهِ
لَدَى رَوْضَةٍ قَدْأَشْرَقَتْ بِبَهَائِهِ سَلُونِي كَيْفَ الحَالُ دُوْنَ لِقَائِهِ

ولذلك كان تمني الحضورفي حدوده قد تجاوز مساحته المحدودة ، الى أكثر من بقعة ولاسيما بعد أن ترسخ في الإعتقاد ان نيل شرف التواجد لا يكون إلاّ لصاحب حظ عظيم ومقام رفيع ، وهذا ما يحسب للتأليف من ناحية ولاسيما بعد أن وظّف المكان الأرضي (المحدد الأبعاد) في خلق حيز فسيح تتوجه النفس بالأمنيات الصادقة اليه ، وإن كان لكل صعيد اسمه المعهود لفظياً : (٨٦)

مُنَى النَّفْسِ لَوْ نَفْسِي أُتيحَ اقْتِراحُهَا لَدَى رَوْضَةٍ يَنْفِي الكُرَبَ التِماحُهَا
فقلتُ ونفسِي قد تناها ارتِيَاحُهَا ظِرَابُ نَواحِي يَثْرِبٍ وَبِطَاحها
مُنَايَ وَهَلْ يَحْظَى بِهَا غَيْرُ مَنْ أُحْظِي

ولهذا الصنيع مبدأ مشروع يشتغل عليه ، إذ يبدو انه لايفاضل بين مكان وآخر، وذلك عن طريق توظيف آلية الإحتفاظ بمكانة وخصوصية كل مكان على حده في ضوء تخصيصه بالذكرالصريح ، وكأنه يريد تقوية ما هو بصدده من دلالة مكانية – جزئية بتوكيد المعنى ذاته عن طريق الإستفادة من دلالات (المكان النبوي) على وجه العموم ، وقد ظهرت هذه التقنية في تخميس آخر، إذ كان المكان الشريف مصدراً لنيل الوطر وللإرواء معنوياً بالآثار النبوية مجتمعة بعد الظمأ اليها بالقول في أحد التخميسات : (٨٧)

ألاَ هَلْ لمَنْ يَشْتَاقُهُ يَوْمٌ مَوْرِدِ يُعَفِّرُ خَدًّا عِنْدَ قَبْرِ محُمَّدِ
إلَى اللهِ أَشْكُو لَوْعَةَ الهائِمْ الصَّدِّي ظَمِئْتُ إلى تَقْبِيلِ آثارِ أَحْمَدِ
فَهَا أَنَا لِلإظْمَاءِ مُتَّصِلُ اللَّمْظِ

وهذا ما يكشف لنا أن الأوطان والربوع النبوية كانت على الدوام في المخلية الخصبة ، التي كانت -كما يبدو-مع تجدد الذكر، باعثاً حقيقياً على زيادة درجة الإشتياق لصاحبها المصطفى وذلك بما تصوره عملياتها الفاعلة للنفس الوَلْهَى ، قال الفازازي في هذا المعنى على نحو تقريري مباشر خالٍ من الشاعرية : (٨٨)

مَتَى ذُكِرَتْ أَوْطَانُهُ وَرُبُوعُهُ تَوَهَّمَهَا قَلْبِي فَزَادَ نُزُوعُهُ

وربما يكون لهذا المضمون فائدة بهذا الشكل تتمكن من أن تفسر(الجملة الإخبارية) فيه كيف سيقتنع (المولع / الفاني) من الرؤيا البصرية للمكان باللمحة التي لا تكاد تستغرق من الوقت الزمني إلا الشيء القليل (الثواني) ، ولاسيما المتزامنة مع هبوب عبقه ، و شذى أريجه الفوّاح من أثر(نفحة يثربية) ، كما جاء به النظم القولي في التخميس الآتي من قافية حرف النون : (٨٩)

ألاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لِعَيْنِيَ لَمْحَةٌ لِرَوْضَتِهِ حَيْثُ الرَّغَائِبُ سَمْحَةٌ
فَإنَّا وَأَسْبابُ الوُلُوعِ مُلِحَّةٌ نَكَادُ إذا هَبَّتْ لِيَثْرِبَ نَفْحَةٌ
نَطِيْرُ لَهَا شَوْقاً وَنَفْنَى بِهَا حُزْنَا

وهذا ما يفسروجود نزعة زهدية يقظة تربط بين الجانب الحسي البصري اليسير(اللمحة) والجانب الشمي العابر(النفحة)من غير تناقض دلالي جاء من إيحاء القناعة المكانية بوصفها بؤرة مدركة وحركية فاعلة فبها:

نَطِيْرُ لَهَا شَوْقاً وَنَفْنَى بِهَا حُزْنَا

وللمكان المَدِيني متعلقات فعلية مصاحبة له يصعب الحديث عنه من دونها ، مالت النفس اليه بالاشتياق والتبرك ، فقد كان الأثر النبوي قبلة المحبين وبغية الزائرين ولازال ، ولذلك كثيراً ما ترددت وتتردد في غرض المديح النبوي صور التذلل للتربة النبوية فكان أن صدرت من بعض الشعراء الرغبة الشديدة في التعفر بها وتقبيلها(لثمها) ، ولاسيما بعد أن حالت الأقدار دون الزيارة المرجوة ، وكأن في الأمر دلالة على صور الولاء القلبي لشخص النبي (ص) على الرغم من الحرمان بالبعد عنه ، في ضوء جسور الحب والإخلاص الممتدة إليه بعد أن طاب ترابه الشريف : (٩٠)

لَقَدْ حَالَتِ الأَقْدارُ دُونَ اقْترابِهِ   وَأَسْلمَنِي للبَينِ حُكْمٌ جَرَى بِهِ
فَقَلْبِيَ لاَ يَنْفَكُ نِضْوَ اضْطِرابِهِ   هَوايَ مَعَ الأَعْذَارِ لَثْمُ تُرابِهِ
وَمِنْ أَيْنَ لِي ذاكَ التُّرابُ المُفَوَّهُ

ولا أظن أنه سيغيب عن ذهن القارىء الكريم ان الوازع الديني يلقي بأضوائه بشدة على مرافق هذا الجانب ولاسيما بعد أن كان السياق التعبيري في النص الشعري التالي يشير الى مشاعرإسلامية جديدة يقتضيها التواجد(بمعنى الحضور) في ذلك المكان الطاهروالتي تستوجب من وجهة نظرما فعل(اللثم) أو (التمرّغ) بعد أن ساد أنها تؤدي في الختام الى(الفوز) ، وهو ضالة المسلمين ، كما جاء به التصريح الآتي: (٩١)

لَقَدْ فَازَ مَنْ لَبَّى وَطَافَ وَزارَهُ   وَمَرَّغَ فِي ذاكَ التُّرابِ عِذارَهٌ
يَقُولُ وَقَدْ أَدْنَى الهَوَى مِنْهُ دَارَهُ   بِحُبِّ رَسُولِ اللهِ نَرْجُو جِوارَهُ
وكُلُّ مُحِبٍّ فَالحبَيبُ لَهُ حَسْبُ

وهذا مايفتح بالقول في آثار نعله كذلك ، إذ بقيت(آثار نعله) بوصفها دالة تعويضية أيضاً تستمد قيمتها التي لاتخرج عن جملة المعطيات النبوية ، غيرغائبة عن محمولات الشوق الى قصد الرسول الكريم الممدوح ، وعلى وجه العموم يمثل ذكر تمثال النعل الفصل الثاني من فصول الشوق والحنين الحسية التي نوّع شعراء الموحدين فيها فـ " قد أفرد الشعراء في عصر الموحدين قصائد كثيرة في الحديث عن آثار النبي الشريفة ، ويجد الدارس ضروباً وأصنافاً كثيرة لتعلقهم الشديد بهذه الآثار، وتفانيهم في حبها ، وكما تقدم بنا شوقهم الشديد وحنينهم الى زيارته فكذلك شوقهم لآثاره وحنينهم اليها"(٩٢) ، وكانت هيأة الفعل المرتبط بهذا الأثر مقبولة بعد أن استندت على خلفية معرفية امتاحت من معين ديني مؤطّر لصاحب الأثر كما جاء في التخميس الآتي ، إذ صدرفعل تقبيل آثار نعله (ص)من أثر

الشوق لوصل الحبيب (تعويضاً) ، في ضوء الإشارة بباسطة الى رابطة الإصطفاء الإلاهية المقدَّسة بين الرب(المُصْطَفِي) وعبده(المُصْطَفَى) : (٩٣)

هُـوَ المُصْـطَفَـى للـــهِ مِنْ خَـيْرِ رُسْلِـهِ　　　رَعَـيْنَـا لَــهُ الحَــقَّ المُراعِـي لِمِـثْلِــهِ
فَـهَا نَحْـنُ مِـنْ شَـوْقٍ لِسَـاعَةِ وَصْـلِـهِ　　　نُـقَبِّلُ بالأَفْــكَـارِ آثَــارَ نَـعْـلِـهِ
وَمَـنْ فَــاتَهُ الـمَـحْبوبُ حَنَّ إلى المَغْـنَى

و هذا الشوق– كما يتبين– غيرمفصول بطبيعة الحال عن المكان ، فمن هذا الصعيد أيضاً تعز الزيارة– كما هو حال من لم يظفر بها– فيتصاعد الرجاء الصادق كالعادة الى الله تعالى أن ييسر أمرها وأن يجمع شمل الأحبة وإلاّ فالحال عصيبة ، كما ان الناس في العطية الإلاهية ليسوا سواسية هكذا شاءت قدرته عزّ وجلّ : (٩٤)

مِـنَ الـلـهِ أرْجـُو نَظْـمَ شَمْـلِي بِشَـمْلِـهِ　　　وإلاًّ فَـدَمْـعٌ وَيـْـلُــهُ إِثْـرَ طَـلِّـــهِ
وحَـبُّ عَلَـى النَّـأْيِ اعْتَصَـمْتُ بِحَـبْلِـهِ　　　مُـنَى كُـلِّ نَفْـسٍ لَـثْمُ آثَـارِ نَعْلِـهِ
وَفِـي النَّـاسِ مَـنْ يـُعْطَى مُـنَاهُ وَيُحْــرَمُ

والعلاقة القائمة بين الشوق والرجاء في بعض الأوقات العصيبة علاقة طردية ولاسيما مع البعد الذي يعيشه أفراد مجتمع ما تعلقت نفوسهم بالحبيب ، إذتتقوى دلالة الرجاء لدى الفرد الأندلسي في زمن أبى إلاّ أن يكون مفرقاً بين الأحبة على نحو ماجاء في التخميس الآتي في أدناه ، من غير قنوط فهو الكفيل بالبقاء الذاتي ضمن دائرة الإحساس الشوقية وجذوتها المتأصلة في النفوس المتطلعة لأداء مشاعر فريضة الحج أوالعمرة ولاسيما من الأندلسيين الأرق شوقاً ضمن هذه الدائرة ، فقد " كان أهل الأندلس من أرق الناس شوقاً الى زيارة الرسول ، لأن بعد المزار غزا قلوبهم بأقباس الحنين " (٩٥) ، وهذا الصنف من الرجاء لدى المؤمنين مع انه جاء من رحم معاناة لكنه أخذ يُفَعَّل باتجاه إيجابي فـ" أمام شعور بعضهم بالعجز عن اداء بعضهم هذا الواجب الشرعي – فإنه لايبقى لهم إلاّ الأمل والتمني ، اللذان يحولان دون الإستسلام لليأس والقنوط ويحافظان على جذوة الأشواق ويؤججان مشاعر الحنين لدى المؤمنين "(٩٦) ، التخميس:(٩٧)

مِـنَ اللهِ أَرْجـُو أَنْ يـُسَـنِّيَ قُرْبَــهُ　　　وَإِنْ عـَاقَ وَقْـتٌ كَـدَّرَ اللـه شِـرْبَــهُ
نـُرَاوِدُهُ سِـلْمـاً فَـيُؤْثِــرُحَـرْبَــهُ　　　لَثَـمْنَـا بِأَفْـوَاهِ الخَــوَاطِـرِ قُـرْبَــهُ
فَيـَالَيْتَــنَا مِمَّــنْ مُقَـبَّلُـهُ الـــنَّعْـلُ

ويفرزما تقدّم ان السعي الى الإرتباط بهذا الأثر هو وسيلة مُلِّحَةٌ تقتضي إعادة المحاولة بشتى السبل المشروعة للإرتباط بصاحبه مع التذكير بفضله ، وعليه كان أثر هذا النوع من التضرّع يتماشى مع قول الفازازي الآتي في نعل النبي(ص) ، بوصفه أحد الشواخص التي يتواضع لها أفاضل الناس احتراماً لفضل صاحبه وتعظيما ، وهذا نابع من طبيعة المحبة الفطرية لسيدالمرسلين " فمحبته محبة هيبة وتعظيم واجلال ، لامحبة غرام ووجد ولوعة" (٩٨)، قائلاً بهذا الشأن : (٩٩)

فَــلاَ فَـاضِـلٌ إلاَّمُـقِـرٌّ بِفَـضْلِهِ عَـمَائِمُـهُمْ تَهْـوِى انْـخِفاضـاً لِنَـعْلِـهِ

وهذه البوادر الأندلسية وسواها التي تطرقت الى هذا الأثر النبوي هي ذاتها التي أفضت في مرحلة لاحقة الى قيام التأليف المنهجي المُتَّمَخِّض عنه ، كما هوالحال لدى المقّري في مصنفه الموسوم : " فتح المتعال في مدح النِّعال".

وباختصارنقول : ربّما كانت دلالات (الرجاء الصادق) أحدأبرز العوامل التي أسهمت في استحضار المعاني الشوقية حسياً لغرض المديح النبوي ، ولاسيما بعد أن كان المكان المقترن بالرحلة اليه ، والأثر النبوي– في ضوء معالمه المطروقة أدبياً – موشوراً يعكس كل المعاني السامية كما بدت من الصور التي عرضتها التخميسات والأبيات الشعرية السابقة بعد أن كانت صدىً لما يجيش في النفوس التوّاقة الى الحضرة النبوية قلباً وقالباً .

٢– البعد والقرب :

إذا كان لما سبق تفصيله تأثيربالغ على النفس ، ليترتب عليه إحساس فطري يتراوح بين البعد والقرب كما لمسنا ذلك من بعض الأوجه من قبل ، فهذا ما يجعل المعاني المنظوية تحت هذا اللواء تبدو أكثر عملية من الناحية التطبيقية للتجربة الشوقية في المجموع الشعري المدحي الذي تتجلى فيه دلالات(الرجاء و المعاناة) التي تتوزع بين هذه الثنائية ، وهذا ما أوجب الحديث عنها في هذا الموضع من الدراسة تحديداً ، إذ كثيراً ما كان البعد المديني محفزاً للبوح النفسي عما تُكِّنُه الذات لبقاعه من شوق أليم يعتصر الفؤاد والعين ، كما جاء في أحد التخميسات : (١٠٠)

إذا كـانَ لـلأَقْـوامِ فـِي الأَرضِ نُجْـعَـةٌ فـَمَـا حَسُنَـتْ لِـي دُونَ يَثْـرِبَ بُقْـعَةٌ
وَلا رَقَـأَتْ مِـنْ شَوْقِهَـا لِـي دَمْـعَـةٌ هَمَـتْ أدْمُعِي شَـوْقـاً وفِي الصَّـدْر
لَـوْعَةٌ فَقَلْـبِي مَـكْلُـومٌ وَجَـفْـنِـي أَمْـرَهُ

وتطرح الأشكال القولية في هذا السياق ثمّة تساؤلات متولّدة عن ضرورة ، بعد أن يكشف جانب من هذا الأمرعن توجّس شديد حيال البعد الذي قد لا يتوافر معه مبررمنطقي يذكر يطيل أمده ، مما يستوجب إظهار الأسف ازاءه بعد أن أصبح الفرد مشلولاً وعاجزاً عن الحركة تماما ، ولم يحالفه الحظ في مراده : (١٠١)

أَسِفْتُ لِخَوْفٍ قَدَّ قَلْبِي وَهَيْبَةٍ أَثَارَهُمَا عَنْ طَيْبَةٍ طُولُ غَيْبَةٍ
وَمَاذا يُرَجِّي بَعْدُ صَاحِبُ شَيْبَةٍ ضَنَيْتُ بِفَوْتِ الحَظِّ مِنْ طِيبِ
طَيْبَةٍ فأَصْبَحْتُ وَقْفاً لا أَجِيءُ ولاأَمْضِي

وإذا كان قد كتب لصوت الشكوى أنْ يصدع من هذا الميدان فكان صداه رجاء وتمني على نحو ما جاء في بعض النماذج ، إذ بالوسع أن نلحظ ان معاني العلة والإستطباب تبرزعلى هذا الصعيد بعد أن افادت في تقديم قيمة تعبيرية لاتخرج عن إطار إسناد دلالة ترجي (القرب / الوصال) ، من الحبيب كما قد يظهرفي التخميس الآتي : (١٠٢)

عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو بِهِ وَلَعَلَّما وَإلاَّ فَلا أَنْفَكُّ دَهْرِيَ مُغْرَمَا
حَلِيفَ أَسىً قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ والدَّمَا أُعَلِّلُ نَفْسِي بِالوِصالِ وَرِبَّمَا
تَشَكَّى الفَتَى أَدْوَاءَ هُ وَهْيَ تَبْرَأُ

وسبق أن من المسلَّمات التي تفضي الى التقريب المقصود شدّ الرحال المشروع ، ولذلك يشغل (القرب/ الدنو) – بتعبير آخر لايخرج عما سبق– حيزاً في موقف الذات الشاعرة من الوسيلة اليه بالرحلة بعد أن يكون جوهرها ، والذي يستدعي من منظور التعبير عن هذا العنصررجملة من الأمنيات التي ربما تشير مجتمعة الى غايات واضحة مقصودة ، أوقد لاتفسَّر بعيداً عن معطياتها الثرّة ، كما في المقطع الرابع من التخميس الثاني في أدناه وهو بيت القصيد ، ولاسيما وأن مقدار التراكم الدلالي ضمن مربع الرجاء(بشوق) لا يتناسب ظاهريا (فحسب) مع الهدف منه الذي هومن وحي ثنائية الأمل واليأس ضمن هذا المضمار : (١٠٣)

وَلَمَّا غَدَا رَكْبُ الهَوَى مُتَحَمِّلاً يَؤُمُونَ مِنْ قَلْبِي إِلَيْه تَبَتُّلا
وَخُلِّفَتْ في الأَخْلافِ صَبّاً مُقَتَّلاَ عَكَفْتُ عَلَى أَمْداحِهِ مُتَعَلِّلا
بِتِرْدادِهَا وَالوُرْقُ تَرْتَاحُ لِلسَّجْعِ
عَسَى نَبْهَةٌ مِنْ بَعْدِ نَوْمٍ وَغَفْلَةٍ عَسَى قَدَرٌ يَقْضِي بِساعَةِ وَصْلَةٍ

عَسَى رَحْمَةٌ تَأْتِي وَلَو بَعْدَ مُهْلَةٍ عَسَى دَارُهُ تَدْنُو وَلَوْ لمَحَ

مُقْلَةٍ وَقَدْ يُدْرَكُ المَأْمُولُ والرُّوحُ فِي النَّزْعِ

هذا ومرّمعنا ان لمراسيم تهيأ ومن ثم انطلاق أفراد الركب المرتحل الى الديار الشريفة إسهام كبير في تحريك المشاعرالوقّادة بما يستدعيه التألم شوقاً من عدم الإلتحاق بهم حيث يقصدون ويأمّون بصورة أخرى فـ " هو شكل آخر من أشكال الإستدعاء إستدعاء الحنين والشوق" . (١٠٤) ، كما جاء في المثال أدناه : (١٠٥)

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ نَازِلاً بِيَثْرِبَ حَيْثُ البَدْرُ يَطْلَعُ كَامِلا

وَنُور الهُدَى فِي الأُفْقِ يَسْطَعُ مَاثِلاً عَفَا اللهُ عَنِّي كَمْ أُشَيِّعُ

راحِلاً إِلَيْهِ وَنَارُ الشَّوْقِ دَائِمَةُ اللَّذْعِ

أُشَيِّعُهُ حِرْصاً عَلَى أَن أكُونَهُ وَاتْبَعُهُ دَمْعاً مَرَيْتُ شُؤُنَهُ

لأَبْذُلَ فِي حَقِ الرَّسُولِ مَصُونَهُ عدَمْتُ فُؤاداً يَأْلَفُ الصَّبْرَ دُونَهُ

عَلَى عِلْمِهِ مَاكَانَ مِنْ حَنَّةِ الجِذْعِ

ويبدو ان ما اختلج في القلب من أثر هذا السير(الغيري) إن صح التعبير – مع القعود عنه تخلفاً– (١٠٦) ترك الفرصة السانحة الى توافر التساؤل المشروع عن قيمة معنى التعليل بالرجاء في أن تحظى النفس باللقاء فحسب ، ثم ماهو جدوى العيش من دون الحبيب مع الإشفاق من إنقضاء الأجل بغتة من دون سابق إنذار : (١٠٧)

إلى كَمْ وَرَبِّي سَابِقٌ بِقَضَائِهِ أُعَلِّلُ قَلْبِي هَكَذا بِرَجَائِهِ

كَأَنِّيَ أَدْرِي مَا زَمَانُ بَقَائِهِ قَبُحٌ بِمِثْلِي العَيْشُ دُوْنَ لِقَائِهِ

وَإِنِّيَ مِنْ بَغْتِ المَنُونِ لَمُشْفِقُ

وقد لايبدو المشتاق هنا في موقف سلبي ، فمن الإفرازات الأخرى التي يطرحها هذا المشهد المؤثر الإلتفات الى النفس وتوجيه بعض الأسئلة الإنكارية التوبيخية ندماً (كالعادة) ، بعد أن زادت سطوة الغرام على النفس كلّما تجدد القصد نحو(طَيْبَة) المنشودة ، بعد أن تجاوزت حدة المشاعرمرحلة إنشاء عالم وهمي داخلي يخفف من مستوى الإغتراب خارجياً الذي لايقوم في أغلب حالاته على وفق وتيرة واحدة زمانياً ومكانياً " فالإغتراب ظاهرة تقوى وتضعف من حقبة الى أخرى وتنتشرفي منطقة دون أخرى حسب الظروف والعوامل المختلفة والشاعر يخلق عالماً خاصاً به هو العالم المثالي الذي يطمح الى تكوينه هرباً من الواقع

الذي لم يستطع التكيف معه " (١٠٨) ، على نحو ماجاء في النص في أدناه أوكاد بعد أن كان المطلب فيه واقعياً فحسب ، فلاشيء سواه يشفي الغليل : (١٠٩)

وَمَاذا أُرَجِّي بَعْدَ ضَعْفٍ وَشَيْبَةٍ وَلا قَلْبَ مِنِّي يَسْتَنِيرُ بِتَوْبَةٍ
فَيَا وَيْحَ نَفْسِي مِنْ غُرورٍ وَخَيْبَةٍ غُبِنْتُ حُظُوظِي مِنْ زِيَارَةِ طَيْبَةٍ
وَمَنْ لِي بِوَجْهٍ فِي ثَرَاهَا يُمَرَّغُ

لَقَدْ سَفِهَتْ نَفْسِي لَقَدْ فَالَ رَأْ يُهَا وَمَا صَحَّ لِي فِي قَصْدِ يَثْرِبَ وأْيُهَا
فَهَا أَنَا لا أَنْفَكُ مَا عَاقْ لأْيُهَا غَرامِي بِهَا يَزْدَدُ مَا زَادَ نَأْيُهَا
فَعَيْشِي بِهَا أَهْنَا وأَسْنَا وَأَرْفَغُ

غَرَامٌ حَشَا قَلْبِي فللهِ مَا حَشَا يَهيجُ إذا مَا هَبَّ مِنْ طَيْبَةَ النَّشَا
وَيَفْشُو إذا مَاشٍ يُؤَمِّلُهَا مَشَى غَضًا شَوْقُهَا بَيْنَ الجَوانِحِ وَالحَشَا
فَيَلْفَحُ أَحْيَاناً فُؤادِي وَيَلْدَغُ

أَلا لَيْتَ شِعْرِي وَالخُطُوبُ مُلِمَّةٌ وأَمْرِي إبْهَامٌ عَلَيَّ وَغُمَّةُ
أَتَنْهَضُ بِيَ نَحْوَ المَدِينَةِ هِمَّةٌ غُلِبْتُ عَليْهَا والشَّواغِلُ جَمَّةٌ
فَيَالَيْتَنِي أَدْرِي مَتَى أَتَفَرَّغُ

وفي تقنية أخرى من حقل الإغتراب ، قد يُنْقَل لنا مقطع الحدث المؤلم من مكان الحدث نفسه بعد أن أصبح (الذكر/ المقام النبوي) غير المقترن بالحركة (السيرياليه) ، مع تسليط الضوء على مشهد السائرين الى قبره الشريف أمراً مسوّغاً لذلك الشجن المتجدد الذي لفّ القلوب: (١١٠)

وَمِمَا شَجَانِي عِنْدَ تَجْدِيدِ ذِكْرِهِ شَجَانِي قُعُودِي دُوْنَ زُوَّارِ قَبْرِهِ
فَكَمْ قَاعِدٍ يَدْنُو إليْهِ وَلَمْ يَمْشِ

فَللهِ مَا أَشْكُو مِنْ لَوْعَةِ الجَوَى لَقَدْ أَنحَلَتْ جِسْمِي لَقَدْ هَدَّتْ القُوَى
فَقُلْتُ وَصَدْرِي ضَيِّقٌ بالَّذِي حَوَى شَكَوْتُ النَّوى وَالحَالُ عَوْنٌ عَلَى
النَّوَى وَهَلْ طَارَ مَقْصُوصُ الجَنَاحَينِ مِنْ عُشِّ

على ان هذه النظرة المادية لم تكن الوحيدة في ظل إطارها ، كما تقدم معنا في هذه الدراسة وماسيأتي كذلك ، وهذا أمر بديهي لدى أغلب الشعراء ، فليس باليد حيلة أمام هذا الحال المتأزم من النوى و العجز عن تخطيه سوى الإخلاص الروحي في العزيمة الى الزيارة المرتقبة على وجه العموم ، بعد تسخيرطاقات الفؤاد لهذا الغرض النبيل : (١١١)

وَلَمَّا رَأَتْ الحَاظُ قَلْبِي نُورَهُ قَبَضْتُ عَنَانَ الأُنْسِ حَتَى أَزُورَهُ
صَدَقْتُ الهَوَى قَلْبِي فَلَمْ أَرضَ زُورَهُ وَأَخْلَصْتُ فِي حُبِّ الَّرسُولِ
ضَميرَهُ فَهَا أَنَا مَبْسُوطُ الهَوَى مُتَشَوِّقُ

ويطرح التعميم المنصرف من(الزيارة=القرب) متغيرات لبعض المفاهيم الإصطلاحية ولاسيما بعد أن شهدت طبيعة الموازين تغيراً ملحوظاً صدرعن فاعلية(الفَقْد) في بيئة الوَجْد فـ : (١١٢)

عَلَى كُلِّ صَبٍ أَنْ يَمُوتَ بِوَجْدِهِ نُزُوعاً إِلى قَبْرِ الرَّسُولِ وَقَصْدِهِ
دَهَتْنِي اللَّيالِي بِالدَّواهِي لِفَقْدِهِ خَبَرْتُ زَمَانِي والمَكَانِ بِبُعْدِهِ
فَيَوْمِي عَامٌ فِيهِ والشِّبْرُ فَرْسَخُ

وضمن إطار القول في هذا الجانب الذي تخيّم عليه أجواء الشوق ، يبدو أن مفاهيم الغياب والبعد تأخذ بالتلاشي أيضا إزاء عِظم التشوّق الى المبتغى بحرارة ولهفة ، بما يستدعيه من عقيدة وعزم منقطع النظير ، كما جاء في التخميسين الآتيين في أدناه : (١١٣)

لَئِنْ غَابَ عنَّا إِنَّهُ غَيْرُ غَائِبِ وَمَسْكَنُهُ بَيْنَ الحَشَا وَالتَّرائِبِ
فَيَا لَيْتَناَ قَبْلَ اخْتِطَافِ النَّوائِبِ حَفَفْنَا بِذاكَ القَبْرِ مِنْ كُلِ جَانِبِ
لِنُرْوَى بِمَرْآهُ مِنْ الظَمَإ البَرْحِ

أَقَمْنَا وَنَارُ الشَّوْقِ تذْكِي تَلَهُّباً وَرُمْنَاإليهِ السَّيْرَ الحُكْمُ قَدْ أَبَى
وَلَو قَدْ وَجَدْنَا نَحْوَهُ مَذْهَبَا حَثَثْنَا إِليهِ العِيْسِ شَرْقاً وَمَغْرِبا
سِراعاً إِلَى أَنْ نَدْرِكَ اللَّمْعَ باللَّمْحِ

ويظهران السبيل الى بعض ماتقدم بيانه قد تم عن طريق أجواء ما يشبه الرحلة الروحية التي لاتقاس بالمقايس الوضعية للإصطلاحـــات الموضوعة ، فهي أسمى من ذلك وأرفع : (١١٤)

لأَحْمَدَ أَضْحَى القَلْبُ مِنِيَ جَانِحاً أَراهُ عَلَى قُرْبٍ وَإِنْ كَانَ نَازِحاً
قَطَعْتُ لَهُ بِالذِكْرِ دَهْرِيَ مَادِحَاً طَوَيْتُ عَلَى شَوْقِي إِليهِ جَوانِحاً

ولعل من أبرز ما نجم عما تقدم من نواتج عن البعد عن الحضرة النبوية ، الوقوع ضمن دائرة الشكوى من الفقدان والتي لن يطيب العيش بها لأحد ، فكيف بمن غمره الحب ، بل ليست هنالك بوادرإرادة حقيقية للحياة الرغيدة من دونه (ص) ، وهذا أمر مستوحى من عالم

الشوق ، ولكن يغلب على اخراجه طابع مقدّس غير بعيد عن مبدأ الإصطفاء والعناية الإلاهية وهذا ما يعزز جانباً من جوانب التعبير في النص الآتي : (١١٥)

لَـقَـدْ دَلَّ إِسْرَاءُ الإِلـهِ بِـعَبْـدِهِ   عَلَـى أَنَّـهُ قَـدْ خَـصَّ مِـنْهُ بِـوِدِّهِ
مُحَـالٌ لِـعَيْشِـي أَنْ يَـطِيـبَ لِفَـقْـدِهِ   حَـرَامٌ عَـلَـى قَـلْبِـي سَـلُوٌ لِبُعْدِهِ
وَإِنِّـي لِـحَـرَّانِ الجَـوانِـحِ بِـالنَّـضْـحِ

وتبقى أهمية هذا الفقدان المعروض حاضرة بوصفه مصدراً من مصادرالإشارة الى دلالة البعد ضمن إطار الغرض الشوقي(الديني) بعد أن ارتبط- فضلاً عما تقدم- بغياب الدواء الشافي الذي تتعافى به الأبدان ، وتعمر بها الأوطان متمثلاً بشخص النبوة ، ولذلك كان أثره جسيماً على النفس المحرومة وقد مرّ الوقت عليها ، فالشكوى منها الى الله عز وجلّ من أضعف الإيمان ، وكذلك تعزيتها بهذا المصاب الجلل : (١١٦)

إِلَـى اللـهِ أَشْـكُو ظُـلْمَ نَفْـسِي وَحَـوبَهَا   إذا اسْتَحْسَنَـتْ بِالـبُعْـدِ عَـنْهُ عُـيُوبَهَا
وَلَـوْ قَـدْ أَتَـتْهُ كَـانَ حَـقاً طَـبِيبَـهَا   فَقَـدْنَـاهُ فُـقْـدانَ الـصُّـدُورِ قُلُوبَـهَا
عَـلَـى أَنَّـنَا بِالـدَّمْـعِ والذِّكْـرِ نَـسْتَشْفِي
فَقَـدْنَاهُ يَشْـفِـي كُـلَّ داءٍ لَـنَا عَـيَا   يَحُـضُّ عَـلَـى الإِخْـلاصِ يَـنْهَى عَنِ الرِّيَا
يَصُـدُّ عَـنِ الـفَحْشَاءِ يَـأْمُـرُ بِالـحَيَا   فَـأَجْفَـانُـنَا أَهْـمَـى دُمُـوعًا مِـنَ الحَيَا
وأَحْـشَاؤنَـا أَحْـمَـى ضُـلُوعاً مِـنَ الرضْـفِ

وليس هذا فحسب بل تتوافرفي هذا الميدان الأليم الكثير صور المعاناة القلبية من البعد عن الممدوح بشوق منها ما يبلغ الى الحد الذي بات الطريق الى اللقاء خياراًمفتوحاً للسلوك سواء بالحياة أم بالموت الذي هو في الحب خلود روحـــي ، كما جاء في أحد التخميسات : (١١٧)

لَـقَـدْ مَـسَّنَـا طُـولُ الفِـراقِ بِـنَصْبِـهِ   فَصِرْنَا نُحِـبُّ الـمَـوْتَ ضِـيقـاً بِـكَرْبِـهِ
فَـيا لَـيْتَنَا مِـتْنا احْـتِراماً بِـحُـبِّهِ   يَـسِيرٌ عَـلَيْنا المَـوتُ فِـي جَـنْبِ قُرْبِـهِ
وَمَـنْ قَـصَدَ الـمَحبوبَ لَمْ يَسْـأَلِ الـبُقْيَا

ويبدوأنَّ لطرفي البعد والقرب وجه دلالية واحدة صوب القصد الشريف ، فقد بدا القرب في الكفة الثانية من هذه الثنائية غير الضدية يعكس طبيعة البعد بأشواطه المحفِّزة على التعبير، إذ لم يكن منفصلاً عن الفضاء العام لهذه الثنائية التي لايصح الحديث عن الشوق قديماً وحديثاً من دونها ، ولذلك كانت(الدعوة الى القرب المنشود= نبذ البعد) دعوة حقيقية

تتشارك في ادراكها الحواس كافة بعقد العزم على الرحلة الى بلاد النور والعدل ، كما هو حال مواطن الأنبياء والمرسلين : (١١٨)

صَبَوْتَ إلى الدُّنْيَا وَذو اللُّبِ لايَصْبُو وَغَرَّكَ مِنْها السَّلْمُ باطِنُهَا حَرْبُ
فَذَرْهَا وشَرِّقْ لايَقِرُّ بِكَ الغَرْبُ بِيَثْرِبَ نُورٌ لِلنُبُوَةِ لا يَخْبُو
تَشارَكَ فِي إدراكِهِ الطَّرْفُ والقَلْبُ
بِهِ فَاستَنِرْ إنْ تَنْتَهَضَ بِكَ هِمَّةٌ وَلاتَنْتَقِضَ مِنْ دُونِهِ لَكَ عَزْمَةٌ
فَكُلُ ضِياء دُونَهُ فَهُوَ دُهْمَةٌ بَدَا وبِقَاعُ الأَرْضِ ظُلْمٌ وظُلْمَةٌ

وفي مقتربات أخرى أظهرت بعض البواعث الشوقية تقليداً لما سبق اليه الشعراء العرب فجرياً على عادتهم ارتبط انبعاث وميض الضوء برقاً من تلكم الديار النبوية بالشوق القلبي اليها ، الدافع الى التعلق ببديل مرجو مـــــــادام منه ، حيث جاء في أحد التخميسات القول : (١١٩)

فَيَا لِفُؤادٍ عَزَّ وَجْهُ اصْطِبَارِهِ تَذكَّرَ مَنْ يَهْوَى فَذابَ بِنَارِهِ
وَمهْمَا احْتَمَى شَوقاً لِقُرْبِ مَزارِهِ عَشَوْتُ لِبَرْقٍ لائحٍ مِنْ دِيارِهِ
وَمَنْ فَقَدَ المَحْبوبَ حَنَّ إلى الرَّبْعِ

وغالباً ما قادت العاطفة الجيّاشة الى تمني تيسيرالقرب الزماني والمكاني للنفس في آن واحد من الحبيب ولاسيّما مع المرتحلين العاقدي العزم على الدوام صوبه من كل ناحية : (١٢٠)

فكَمْ وَجْنَةً دُسْنَا هُنَاكَ وَجَبْهَةٍ بِأَخْفافِ إبْلً أَوْ سَنَابِك جَبْهَةٍ
بِجَاهِ المُعَلَّى فَوقَ نَسْرٍ وجَبهَةٍ رَكَائِبُنَا أَمَّتْهُ مِن كُلِّ وِجْهَةٍ
حَنيناً الى البَيْتِ المُطَهَّرِ والقَبْرِ
لأَرسَخِ أَهْلِ الأرضِ عِلْماً بِرَبِّه لِمَنْ لَيْسَ فِي الأعمالِ شَيءٌ كَحُبِّهِ
فَيَا وَيْحَنَا والمَرْءُ يُقْصَى بِذَنْبِهِ رَجَوْنَا مُوَاتاتِ اللَّيالِي بِقُرْبِهِ
فَضَنَّتْ بِهِ والخَطْبُ جَلَّ عَنِ الصَّبْرِ
عَسَى بَعْدَ حَالِ العُسْرِ يُسْرٌ يَذُودُهَا فَيَقْرُبُ مِنْ دارِ الحَبيبِ بَعيدُهَا
وَمَهْمَا طَلَبْنَاهَا فَعَزَّ وجُودُهَا رَجَعْنَا إلى أمْداحِهِ نَسْتَعيدُهَا
فَهَا نَحْنُ نَسْتَشْفِي بِها أَمَدَ الدَّهْرِ

ولهذا كان للتقرب من فضاء النورخاصية تفيد الشفاء للقلب الجريح بظلام البين ، بعدأن إنعدم فيما سواه ، قال الفازازي : (١٢١)

أَلَـهْفِـي لِـقَلْبٍ لاطَـبيبَ لِدائِـهِ سِوى الـقُرْبِ مِنْ نُورِ الهُدَى وضِـيائِـهِ

وهذا ما قد يفسر شيئاً ما بقاء الأمل قائماً في أن يكتب الشفاء للنفس بالقرب بإصرار ، بعد أن عزَّ مطلباً في التخميس الآتي : (١٢٢)

تَـضيقُ بِـيَ الـدُّنْيا الفَـسيحُ مجالُـهَا وَنـفْسِي لِـطُولِ البُعْدِ قَدْ سَاءَ حَـالُها

وَلَـيسَ بِغـيرِ القُـرْبِ يَـنْعَـمُ بَـالُهَـا شِـفَاءُ سِـقَامِـي زَوْرَةٌ لَـوْ أَنَـالُـهَـا

وإنِّـي لأَرْجُـوهَا وَلَـوْ كُـنْتُ فِي النـعْشِ

ومن البديهي أن يترتب على ذلك ما مفاده ان القرب من الصادق الأمين كان من أولى الأوليات لدى المحبّ إذا ماتمَّ التخيير بين الدنو منه ، والنوى عنه (١٢٣) ، ولاسيما بعد أن ترسخ في الإعتقاد المطمئن أنه " قريب وإن شطت عليه المفاوز" (١٢٤) ، ومن هذا المعنى قول الفازازي : (١٢٥)

لَـقَدْ أَشْـرَبَ الإيمـانُ قَـلْبِي حُـبـهُ فإنْ قِـيلَ لِي مَـا تَـشْتَهِـي قُلْـتُ قُرْبَـهُ

أُصَـافِـحُ مَـغْـنَاهُ وأَلْـثُمُ تُـرْبَـهُ كَـذا فَلْـيَكُـنْ مَـنْ قَـدَّسَ الـلهُ قَـلْبَـهُ

وهذا ما يبعث على القول جزماً باصطباغ دلالة الشوق بصبغة دينية ملموسة نصياً من غير مغالاة تذكر ، ولاسيما بعد أن نهلت باعتدال من معين مزايا وشمائل الشخصية النبوية المحمدية الشريفة ، بعيداً عن الآراء الفلسفية التي تقوم علها فكرة(الحقيقة المحمدية)(١٢٦) التي حدت ببعض المستشرقين ومن لفَّ لفهم الى التحامل على هذه الشخصية من هذه الزاوية (١٢٧) . جاء في أحد التخميسات القول : (١٢٨)

نـأَى فَـنَأَى صَـبْـرِي وَأَكْـدَى تجَـلُّـدِي وَلاشَـيءَ إلا الـقـُرْبُ يـأْ خُـذُ بـاليَــدِ

وَيمَـحُو ذُنُوبِـي يَـوْمَ نَـشْـرِي لِمَـوعِـدِ كَـبَائِـرُنَـا تُمْـحَـى بِـجَـاهِ مُـحَـمد إذا

طَـاشَتِ الأَلْـبَابُ فِي المَوْقِفِ الضَّنْـكِ

ويبدو أن منطق إسناد هذا التعلق الفطري بالدلائل القاطعة للشك أوحت بتوظيف قيم معرفية منها إستذكار حادثة الإسراء والمعراج الشهيرة ، ذلك أن فيها ثمَّة مغزى يفيد دلالة القرب المتحققة يقيناً في تلك الليلة العظيمة ، كما أشار اليها القرآن الكريم في أكثر من موضع (١٢٩) ، بوصفها عنواناً سنياً من عناوين الدنو : (١٣٠)

تَلَـقَّـى الهُـدَى عَـنْ جِـبْرَئِيلَ تَـلَقِّيـا وَقَـدْ كَـانَ يَـأْبَـى الـشِّرْكَ قَـبْلُ تَـوَقِياً

وَلمَّا دَنَا لـلـحَقِ بِــاليَـدِ مُـلْـقِـياً   نـأَى لَـيْلَـةَ الإسْـرَاءِ عَنَّـا تَـرَقِـيـا
فـكَانَ دُنُـواً قَـابَ قَـوْسيَنِ أوْ أَدْنَـى
فَللـهِ ذاكَ الـنَّـأْيُ إذْ يَـدَّنِـي بِـهِ   لِمُمْرِضِـهِ مَـهْمَا اشْتَكَـى وَطَـبِيـبِهِ
تَــدانِــيَ أَوَّاهِ الـفُــؤادِ مُـنِـيبِـهِ   نَـفَـى نَـوْمَـهُ تَـأْمِـلُ قُـرْبِ حَـبِيبِهِ
فَـأَقْـلَـقَ مِنْـهُ القَـلْـبَ إذْ أَرَقَّ الـجَـفْنَـا

ولايخفى أثرصور هذه الحادثة في هذا الشأن ، إذ يطالعنا السياق التصويري الذي يردف أحقية التوجه بمشاعرالتشوق الى النبي وقربه ، بالإشارة الى حال ملائكة السماء وهي التي كانت على أُهبة الاستعداد للقائه والسلام عليه في جو مهيب في تلك الليلة المباركة بعد أن ثبت وتَعمَّم أمر تعظيمه علوياً : (١٣١)

ذَكَـتْ نَـارُ أَشْـواقِـي إليْهِ وَمَا خَـبَتْ   وَلِـمْ لا وَلِـيَ نَـفْسٌ سِـوَى حُبِّهِ أَبَـتْ
وَتَعْظِـيمُهُ فِـي العَـالَمِ العُـلْوِ قَـدْ ثَـبَتْ   مَـلائِكَـةُ السبَّـعِ الـطِّبَـاقِ تَـأَهَّبَتْ
لإِسْرَائِــهِ كُـلٌّ عَـلَيْـهِ يُـسَلِّـمُ

ولامشاحة من أن يقدم هذا الجنس من المعاني الدينية أيضاً موقف المعذَّب بالبعد المتمضخ عن خليط من الرجاء والدعاء ، ولاسيما الرجاء الأثير من الله عزّ وجل في طلب القرب ، بعد الدعاء منه تعالى على الزمن الذي لم يشف الغليل في لمّ الشمل ، وبالأخص بعد أن كان غريماً تقليدياً بين الأحبة يحول دون لقاء بعضهم بعضا يستوجب الذم على صنيعه هذا(١٣٢) جاء في أحد التخميسات : (١٣٣)

عَـسَى رَحْـمَـةُ الـمَوَلى تُـقَرِّبُ بَـيْنَهُ   فَـيَقْـضِـي فُـؤادِي لِلـهَـوَى فِـيهِ دَيْنَـهُ
وَيُذْهِـبَ نَـقْصُ الـبُعْـدِ عَـنْـهُ وَشَـيْنَـهُ   لحَـا الـلـهُ وَقْـتاً حَـالَ بَـيْنِـي وَبَـيْنَهُ
فَـمَـرْبَـعُـهُ قَـيْظ وَصَـيُّبُهُ مَحْـلُ

وعلى وتيرة هذه السلسلة قد يأتي الموقف من الزمن على وفق تصورحسي آخر، بعد أن تعلّق(الرجاء القلبي) به وهو يستعرض من أثراللواعج المُلِحَّة جانباً حسياً من صور الخلود الزمنية في عالم أصحاب النعيم المقيم المقربين الأبرار : (١٣٤)

عَـسَى زَمَـنٌ يَـدْنُـو بِـهِ وَلَـعَـلَّـهُ   وَإلاَّ فَـقَـلْـبِي لِـلـفِـراقِ مُـدَلَّـهُ
فَـطُـوبَـى لِـعَبْدٍ فِـي الإلـهِ أَجَـلَّـهُ   زَرَابِـيُّ دَارُ الـخُـلْـدِ مَـبْثُـوثَـةٌ لَـهُ
وأَتْـرابُـهَـا شَـوْقـاً إِلَـيْهِ بَـوارِزُ

ومن موجبات هذا التعلُّق ألا يُفقد الأمل ضمن هذا الحيّز الذي قد يصدق أن يقال فيه : يتصارع الأمل مع اليأس ، ولاسيما بعد طرح الفازازي وجهة نظر إزاء هذه الثنائية في ترجيح كفة الأمل على غيره في الموازنة القائمة بين الإثنين ، قائلا بهذا الصدد : (١٣٥)

وَقَـدْ تَصْدُقُ الآمَالُ وَاليَأْسُ كَاذِبٌ وَلا يَأْسَ إنَّ الدَّهْرَ آتٍ وَذاهِبٌ
ضَعفتُ عَنِ الكُلِ الَّذِي هُوَ وَاجِبٌ وَإلافَكَمْ مِنْ حَاضِرٍ وَهْوَ غَائِبٌ

وأغلب الظن ان تبلورنضوج هذه الفكرة جاء في ضل منهاج على مايبدو سارت عليه الأقدام بخطى واثقة عن قناعة ، إذ لم يرضخ في أحلك الظروف والمراحل التي يمر بها الهائم المشتاق بحق الى اليأس المطلق ، كما صدر البيان في التخميس الآتي الذي نتلمس فيه دعوة ضمنية الى ما يفترض أن يكون عليه طالب القرب على نحو واقعي بعد أن كان على غيرموعد مع الفرج الذي لم يأت بـــــــعد ليل حالك طويل ما له من إصباح مرتقب : (١٣٦)

وَلَمْ أَرَ لِلاِصْباحِ فِيهِ تَنَفُّسَا وَلَمَّا دَجَا لَيْلُ الشُّجُونِ وَعَسْعَسَا
قَسَمْتُ فُؤادِي بَينَ شَوْقِي وَالأَسى وَخَابَ رَجَائِي فِي لَعَلَّ وفِي عَسَى
كَذَاكَ يَكُونُ المُسْتَهَامُ المُحَقَّقُ

وهذا الصنيع له أكثر من غاية تفيد عزاء(النفس / الفؤاد) ، في هذه المرحلة الحاسمة التي تتطلب الصبر على العهد المقطوع من أجل الوصل ، قال ابن حزم (ت٤٥٦هـ) : " ولا بدّ للمُحبّ إذاحرم الوصل من القنوع بما يجد ، وان في ذلك لمتَعَلّلاً للنفس ، وشُغْلاً للرجا وتجديداً للمُنى وبعض الراحة ".(١٣٧)

الخاتمة :

نامل أن تهدف هذه السطورالتالية مجتمعةً الى إظهار أبرز نتائج البحث الناجزحالياً ، إذ سجَّل المكان المَدِيني حضوراً بعد أن ارتبط بمعطيات كانت الرحلة الأثيرة صوبها تفرز محمولات وجدانية تفضي الى التعلق الذاتي بالممدوح الذي هو السرّ في أن يكتب الخلود لمصلحة الغرض الشعري ، وعلى وجه التحديد هنا المديح النبوي ، من نحو: التمني ، وحبّ أهل المكان ، والوقوف مع تأنيب النفس ، وإزجاء التهاني للرَّكب المرتحل الى صاحب المقام وإرسال السلام اليه في محطات تبث مزيجاً من القيم الشوقية الحاضرة والتعويضية عن الغياب ، ولا سيما بعد ان كانت هنالك ثمَّة صُعُد تمّ تكريسها على انها بيئة فاعلة تشع

دلالياً في ضوء النصوص ، إذ يتحول فيها المكان والأثر جغرافياً إلى مصدر تجد فيه النفس ضالتها بإختصار ، وهذا بالتأكيد يرفع من شأن صاحبه المُفَدّى ، بعد أن صارت مجمعاً ومعرضاً لشمائله التي لم تكن مجرّد مزايا فحسب بل وتقضي بمجملها الظفروالفلاح ، وهذا بالطبع بعد الإستناد على النظرة الدينية الفطرية في هذا المجال العقائدي الروحي ، وملامح التعاضد الفكري بين النصوص في هذا الجانب قد تشكّل حلقة من حلقات التغذية العائدة بفائدة التذكير بشخص النبوة حتى لاتغيب عن الأذهان ، وهذا مظهر من مظاهر الوفاء له (ص) اقتضى تكثيف مفهوم التجرّد البشري بصور اللثم والتمرُّغ إزاء آثار من اصطفاه الإله من خلقه .

ولم يكن البعد والقرب أقل شأنا أو اخف أثراً مما تقدّم ، بعد أن سلك نهجاً أفاد تبلور قناعات لازمة للمضي قدماً في سبيل تقليص الفجوة القائمة بين مدى الدلالتين والتوحد في الهدف ولاسيما وان علامات البعد :(البكاء ، الجرح ، الفقدان ، القلق...) كانت تنشد مؤكدة دلالات القرب : (العتاب الذاتي ، التمني ...) بعد أن كانت هنالك إرهاصات لهذا التجاوز الحتمي المقرر، منها كما يبدو :

١- قيام رحلة الروح(العنصر البديل المراد) ، مع بقاء الجسد ماكثاً ، هذه الرحلة المؤطرة بأسمى آيات الرجاء ، مع ما يفترض أن يكون عليه المرء فيها من صدق في العزيمة الى المقصد الى حد الموت ، والقناعة ، فهي صفات الفناء في هذه الرحلة التي لم يشأ لها التوقف بل التوفيق ، وفي ذلك إشعار للمتلقي بمنزلة الموصول انبثق من طبيعة التشوق له والتي لم تقع -في حدود تصورنا- في دائرة التناقض بين التنظير والتطبيق .

٢- إستثمارالواقعة القرآنية بسياقها الزماني والمكاني ، وذلك من أجل استذكار الدنو المتحقق المشحون بالأمل في ضوء المقتربات المعرفية المتوافرة التي تعمل على تقليص الهوة بينه وبين البعد القائم على أرض الواقع .

وبذلك تبين ان الشوق في ديوان الوسائل المتقبلة بدا بمظهر سخّر طاقاته ضمن إطار غرض المديح النبوي في المجموع الشعري .

الهوامش والإحالات :

*الأدب في بلاد الشام – عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، د . عمر موسى باشا ، دار الفكر المعاصر– بيروت (باشتراك) ، ط١ ، ١٩٨٩، ص٤٦٦ .

** فنية شعر المدح النبوي في الأندلس ، د . عمر ابراهيم توفيق ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ع ١ ، م ٥ ، السنة الخامسة ، ٢٠١٠ ، ص ١٤.

(١)تحفة القادم ، إبن الأبار (ت٦٥٨هـ) ، أعاد بناءه وعلق عليه : د . إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ ، ص١٩١ ، و المقتضب من كتاب تحفة القادم ، إختيار وتقيد : أبي اسحاق البلفيقي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني (باشتراك) ، ط٢ ، ١٩٨٣ ، ص ١٨٥ .

(٢)برنامج شيوخ الرعيني ، أبو الحسن الرعيني الاشبيلي (ت ٦٦٦ هـ) ، تحقيق : إبراهيم شبوح مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، ١٩٦٢ ، ص١٠١ .

(٣)تحفة القادم ، ص١٩١ ، والمقتضب ، ص١٨٥ .

(٤)غرباء القسم الثاني من صلة الصلة ، ، إبن الزبير (ت ٧٠٨هـ) (منشور في آخر كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، إبن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ) ، السفر الثامن ، القسم الثاني ، تح : د. محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، (د. ت) ، ص٥٤٢ .

(٥) آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي – نصوص أدبية من القرن الهجري السابع جمعها بعض تلاميذه في حياته ، تقديم وتحقيق ، عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار قتيبة ، بيروت – دمشق ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص٧–٨

(٦)الذيل والتكملة ، س٨، ق٢ ، ص ٣٦٢ .

(٧) برنامج الرعيني ، ص١٠١–١٠٢ .

(٨) نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، أحمد بابا التنبكتي (ت٩٦٣ هـ) ، ج١ –٢ ، إشراف وتقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ط١ ، ١٩٨٩ ، ص٢٤٠ .

(٩)برنامج الرعيني ، ص ١٠٢ .

(١٠)نيل الإبتهاج ، ص٢٤٠ .

(١١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، المقري (ت ١٠٤١ هـ) ج٥ ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨، ص٣٥٥ .

(١٢) نيل الإبتهاج ، ص٢٤٩–٢٥٠ .

(١٣) نفح الطيب ، ج٥ ، ص ٣٥٥ .

(١٤)نفح الطيب ،ج٢ ، ص٣٣٣ .

(١٥)غرباء القسم الثاني من صلة الصة ، ص.٥٤٢

١٦)برنامج الرعيني ، ص ١٠٢ –١٠٣ .

(١٧) م. ن ، ص١٠٢ .

(١٨) تحفة القادم ، ص ١٩١ ، والمقتضب ، ص ١٨٥ . وللوقوف على ترجمة وبعض أخبار أخيه القاضي أبي عبد الله الكاتب ينظر لطفا : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، س٨ ، ق٢ ، ص٣٦٢–٣٦٤ ،

والمعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ) ، تح : محمد سعيد العريان ، مط شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٣٩١، ص ٤٠٦ .

(١٩) المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد الأندلسي (ت٦٨٥هـ) ، ج١ ، تح : د. شوقي ضيف ، دار المعارف القاهرة ، ط٤ ، (د.ت) ، ص١١٨ .

(٢٠) نيل الإبتهاج ، ص٢٤٠ .

(٢١) آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي ، ص١٤ .

(٢٢) برنامج الرعيني ، ص١٠٢ .

(٢٣) الإحاطة في أخبار غرناطة ، ابن الخطيب(ت٧٧٦ هـ) ، م٣ ، تح : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ١٩٧٥، ص٥١٨ .

(٢٤)ما قبل هيكلية الزوايا بالمغرب : الطوائف الصوفية خلال مرحلة الإنحلال الموحدي ، د . محمد الشريف ، المملكة المغربية ، وزارة الثقافة . (انترنيت)

(٢٥) المرابطون والأندلس ، د . داود عمر سلامة ، دار الكتاب الثقافي ، إربد ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ص ٧٨ .

(٢٦) فجر الأندلس ، د . حسين مؤنس ، دار الرشاد ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٣ .

(٢٧) تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، إبن صاحب الصلاة (ت٥٧٨ هـ) ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩، ص ١٢ .

(٢٨) في الأدب الاندلسي ، د . جودت الركابي ، دار المعارف ، القاهرة (د. ت) ، ص٥٧ .

(٢٩) ينظر: الحنين والغربة في الشعر الأندلسي (عصر سيادة غرناطة ٦٣٥ – ٨٩٧ هـ) ، إعداد : مها روحي إبراهيم الخليلي (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية فلسطين ٢٠٠٧ ، ص ١١٨، وص١٢١ لطفا .

(٣٠) في تاريخ المغرب والأندلس ، د. أحمد مختار العبادي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٢ ، ١٩٨٦ ص٣١٩ .

(٣١) تاريخ المن بالإمامة ، ص٢٥ .

(٣٢) دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، د. سوادي عبد محمد ، د . صالح عمار الحاج ، المكتب المصري ، القاهرة ، ط١ ٢٠٠٤ ، ص ١٦٧ .

(٣٣) موسوعة الحضارة الإسلامية ، العصر الأندلسي ، د. قصي الحسين ، دار البحار ، بيروت ، ط١ ٢٠٠٥ ، ص ٢٥٨ .

(٣٤) نظم العقدين في مدح سيد الكونين لإبن جابر الهواري الأندلسي ، د . محسن جمال الدين ، مجلة البلاغ الفكرية ، ع٨ ، السنة الأولى ، نيسان ١٩٦٧ ، ص ٤٦ .

(٣٥) المديح النبوي في الشعر الأندلسي عهد الموحدين ، منجد مصطفى بهجت ، مجلة آداب الرافدين ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ع١٣ (عدد خاص بمناسبة حلول القرن الخامس عشر للهجرة) ، ١٩٨١ ص٤٥٥ .

(٣٦) ينظر: فنية شعر المدح النبوي في الأندلس ، ص ١٤–١٥ .

(٣٧)يراجع البحث الموسوم : المقدمة الغزلية للمدحة النبوية الأندلسية ، د. فيروز الموسى ، (مجلة مجمع اللغة العربية الاردني – انترنيت) .

(٣٨) مقدمة إن خلدون ، عبد الرحمن إبن خلدون المغربي (ت ٨٠٨ هـ) ،(روجعت هذه النسخة وقوبلت على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء) ، دار الفكر ، (د . ت) ، ص ٥٧٥ .

(٣٩) زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، التجيبي (ت٥٩٨ هـ) ، أعده وعلق عليه : عبد القادر محداد دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٦ ، وللوقوف باستزادة على طبيعة العصر ، ينظر : الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين ، د . يوسف بن علي بن ابراهيم العريني ، (سلسة الاعمال المحكمة ٧) الرياض ، ١٩٩٥ . (انترنيت) .

(٤٠) الإحاطة في أخبار غرناطة ، م٢ ، ص٤١٨ .

(٤١) م . ن . ص ٤١٨- ٤٢١-٤٢٦ .

(٤٢) ديوان الوسائل المتقبلة (الغلاف).

(٤٣) آثار أي زيد الفازازي الأندلسي ، ص١٥ .

(٤٤) الإحاطة ، م٣، ص ٥١٩

(٤٥) آثارأبي زيد الفازازي ، ص١٦ .

(٤٦) مقدمة ديوان الوسائل المتقبلة ، ص٢-٣ .

(٤٧) آثار أبي زيد الفازازي ، ص ١٦ .

(٤٨) النوافح العطرية المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية (صلى الله عليه وسلم) لمحمد بن مَسْنَه البرنوي ، تأليف : محمدغبريم التيجاني ، شركة القدس ، القاهرة ، ط٢(معتنى بتنقيحها وتصحيحها) ٢٠٠٧ ، ص٨ .

(٤٩) الإحاطة ، م٣ ، ص ٥١٩ .

(٥٠)ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي شاعر المديح النبوي بالأندلس في القرن السابع الهجري ، جمع وتحقيق ودراسة : د . منجد مصطفى بهجت ، دار الكتب – الموصل ، ١٩٩٠ ، ص٨ (الهامش رقم ٤) .

(٥١) ديوان الوسائل المتقبلة (ط المطبعة الميمنية) ، ص ١٨٧.

(٥٢)آثارأبي زيد الفازازي ، ص ١٦ .

(٥٣) نفسه .

(٥٤) الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، د . نور الهدى الكتاني ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، ص٧٩ .

(٥٥) ينظر: نيل الإبتهاج ، ص ٢٤٠.

(٥٦)برنامج الرعيني ، ص١٠٢ .

(٥٧)غرباء القسم الثاني من كتاب صلة الصلة ، ضمن كتاب الذيل والتكملة ، س٨ ، ق٢ ، ٥٤٢ .

(٥٨) برنامج الرعيني ، ص ١٠٢ .

(٥٩) الإحاطة ، م٣ ، ص ٥١٩ .

(٦٠) نيل الإبتهاج ، ص٢٤٠ .

(٦١) مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها ، تحقيق : إبراهيم بن مراد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ ، ص٥٠ .

(٦٢) برنامج الرعيني ، ص١٠٢.

(٦٣) الإحاطة ، م٣ ، ص ٥١٩ .

(٦٤) القصائد العشريات ، أبو زيد الفازازي الأندلسي ، شرح وتفسير الشيخ محمد الزهري الغمراوي المكتبة الشعبية ، بيروت . (د . ت) ، (المقدمة) .

(٦٥) برنامج الرعيني ، ص ١٠٣ .

(٦٦) ينظرآثار أبي زيد الفازازي ، ص١٧-١٩ .

(٦٧) برنامج الرعيني ، ص١٠٢ .

(٦٨) م . ن ، ص ١٠٣ .

(٦٩) الإغتراب في الشعر الأموي ، د. فاطمة حميد السويدي ، الناشر : مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١ ١٩٩٧، ص١٩٦ .

(٧٠) ديوان الوسائل المتقبلة ، ص ١٠٨، وفيه:" يرنو: يديم النظر ". و "يتنشَّق : يشم ". النوافح العطرية ص٢٨٧.

(٧١) القاضي عياض الأديب (الأدب العربي في ظل المرابطين) ، عبد السلام شقور ، دار الفكر المغربي ط١ ، ١٩٨٣ ، ص٢٢٨ .

(٧٢) الديوان ، ص٢٢.

(٧٣) م . ن ، ص ١٠٢ .

(٧٤) م . ن ، ص٤١ . تَسم : تؤثر وتقطع ، العقيق : واد بظاهر المدينة . منوخ : مبرك ، والمراد به المدينة المشرفة . النوافح العطرية ، ص١٠١.

(٧٥) ينظر : م . ن ، ص ١٠٢ لطفاً .

(٧٦) م . ن ، ص ١٤٢ .

(٧٧) م . ن ، ص٢٣ .

(٧٨) م . ن ، ص ١١٢، وفيه :" المغذ : المسرع ، قصاراي : غاية جهدي ".

(٧٩) م . ن ، ص ٨ . و في النوافح العطرية ص٢١: ورد الحبيب بدلاً عن المحب . ولأُحلأ : لا أُطرد ولا أُحبس.

(٨٠) الرواية والمكان ، ياسن النصير، (سلسلة الموسوعة الصغيرة ٥٧) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٠ ، ص١٧-١٨ .

(٨١)الديوان ، ص٧٦-٧٧ ، وفيه :"كرع في الماء تناوله بفيه من موضعه " ، و "جرعة : حسوة : أي شربة" . النوافح ص ٢٠٤.

(٨٢) م . ن ، ص ٨٠ ، وفي النوافح ص٢١٤ :"مصوبا : نازلا وقاصدا" .

(٨٣) م . ن ، ص ١١٣-١١٤ ، وفي النوافح ص٣٠١ :" أس : أصل ، كريم يعني أمه ، ومن سمك : سقف يعني أباه . "

(٨٤) م . ن ، ص ١٠٨ ، وفيه :" أنقدّ : أنشق ".

(٨٥) ص٦٧ . وفيه :" من برحائه : البرحاء : شدة الكرب" ، ومن النوافح : " من برحائه : من شدة قربه او مرضه أو مشقته" . ص ١٧٦ .

(٨٦) م . ن ، ص٩٣ ، وفي النوافح ص٢٤٩ : وردالكروب بدلاً عن الكرب ، و"اقتراحها : سؤالها أوحبها" . ص ٢٤٩ .

(٨٧) م . ن ، ص٩٢ . وفيه : " اللمظ : لعق الشفتين باللسان " . أو بمعنى آخر: " ذواق الماء بطرف اللسان " كما قال التيجاني صاحب النوافح العطرية . ص ٢٤٧ .

(٨٨) م . ن ، ص ١١١ .

(٨٩) م . ن ، ص ١٣١ .

(٩٠) م . ن ، ص ١٣٤ ، وفيه : " المهزول ، والمفوّه : المطيّب" . وفي النوافح بزيادة : " من فاء يفوه ، اذا طاب ريحه وانتشر" . ص ٣٥٧ .

(٩١) م . ن ، ص ١٤ ، وقد جاء المصراع الثالث في النوافح ص ٣٧ على الوجه الآتي :

وَإن كُنْتُ لَمْ تَـبْلُـغْ أُخَـيَّ دِيَــارَهُ

(٩٢) المديح النبوي في الشعر الأندلسي عهد الموحدين ، ص٤٦٣ .

(٩٣)الديوان ، ص١٣٢، وينظر في صفة نعل النبي صلى الله عليه وسلم ، الشمائل المحمدية ، أبو عيسى الترمذي(ت٢٧٩هـ)، خرّج أحاديثه وعلّق عليه : عزت عبيد الدعاس ، دار الندوة الجديدة ، بيروت (التاريخ في المقدمة ١٩٨٥) . ص٤٠-٤٢ .

(٩٤) م . ن ، ص١٢٧ .

(٩٥) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، ج١ ، د. زكي مبارك ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ٢٠٠٦ ، ص ١٩٦ .

(٩٦) الشوق والحنين الى البقاع المقدسة في الشعر الأندلسي والمغربي ، أ . د . الربعي بن سلامة . (انترنيت)

(٩٧)الديوان ، ص ١٢١- ١٢٢ .

(٩٨) الشوق إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، د . لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه . (انترنيت)

(٩٩) الديوان ، ص ١٠٧ .

(١٠٠) م . ن ، ص ١٣٥ ، وفيه :" النجعة : الموضع الذي يرتحل اليه للمرعى والكلأ ، ومرهت عينه خلت من الكحل او فسدت لتركه والنعت أمره " . ومن النوافح ص٣٥٩ :" وأمره : فاسد لكثرة البكاء عليه صلى الله عليه وسلم من مرهت عينه " .

(١٠١) م . ن ، ص ٨١ ، وفي النوافح ص٢١٧:"قد : قطع أو شقّ".

(١٠٢) م . ن ، ص ٩ ، في النوافح ص٩: الوصول بدلاً عن الوصال .

(١٠٣) م . ن ، ص ٩٧ . والتصويب(مقتَّلا بدلاً عن مقتَّبا) ، من النوافح العطرية ، ص٢٦٠ .

(١٠٤) الشعرفي مشاعر الحج ، أ . د . عبد الرزاق الحاج حسين ، الملتقى العلمي الثاني لأبحاث المدينة المنورة ٢٠٠٨ . (انترنيت)

(١٠٥)الديوان ، ص ٩٦ . وفي النوافح ص٢٥٨ : يطلع بدلاً عن يظلع .

(١٠٦)ينظر : م . ن ، ص ١١١ .

(١٠٧) نفسه ، والتصويب (كأني بدلاً عن كأني) من النوافح العطرية ، ص ٢٩٤ ، وجاء فيه : قبيحٌ بدلاً عن قبح ، والمصراع غير مستقيم وزناً.

(١٠٨) ظاهرة الإغتراب في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر العباسي الأول ، د. فتحي ارشيد شديفات ، الطريق للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ص١٩٣.

(١٠٩)الديوان ، ص١٠٢ ، وفيه : "سفهت : خفت من الحلم وجهلت وفال رأيه : أخطأ ، وأرفغ : أوسع وأخصب" ، "وعاق : منع وحبس ، لأيها : ابطاؤها وتأخيرها " . النوافح ص ٢٧٢ . وعنه تم التصويب : عاق بدلاً عن علق ، وأفرغ بدلاً عنأافرع ، وحشا بدلاً عن بحشا ، ويلفح بدلاً من يلقح . وجاء فيه : يزداد بدلاً عن يزدد. ص٢٧٢ .

(١١٠) م . ن ، ص ٧١ ، وجاء في النوافح ص ١٨٩ ، وكم بدلاً عن فكم .

(١١١) م . ن ، ص ١١١. وفي رواية النوافح ص٢٩٥ هنالك تقديم وتأخير بين البيت الأول والثاني .

(١١٢) م . ن ، ص ٤١ .

(١١٣) م . ن ، ص٣٤ .

(١١٤) م . ن ، ص٨٧ .

(١١٥) م . ن ، ص ٣٣ ، وفيه :" حران : مبالغة من الحر، والجوانح الضلوع ، والمراد ما اشتملت عليه من القلب والنضح الرش بالماء الذي يبرد الحر".

(١١٦) م ، ن ، ص ١٠٧ ، وفيه :" الرضف : الحجارة الحارة " . وبزيادة " المحماة ، والحوب : الإثم " . النوافح ص٢٨٥-٢٨٦ .

(١١٧) م . ن ، ص ١٥١ ، جاء في النوافح ص٤٠٢: اخترام : اقتطاعاً واستئصالاً ، بدلا عن احترام .

(١١٨) م . ن ، ص ٩ .

(١١٩) م . ن ، ص ٩٧ .

(١٢٠) م .ن ، ص٥٦-٥٧ ، وفيه : "النسر : اسم نجم ، وجبهة : اسم منزل من منازل القمر" ، وجاء في النوافح العطرية : "وهو أربعة أنجم ، وهذه إشارة الى إ سرائه صلى الله عليه وسلم " . ص ١٤٥ ، وجاء فيه ص١٤٦ : مواتاة بدلاً عن مواتات .

(١٢١) م . ن ، ص١١١ .

(١٢٢) م . ن ، ص٧٢ . وجا في النوافح العطرية : " وقوله : ولوكنت في النعش ، اخرجه مخرج الغالب وهو أبلغ في المعنى من قوله الذي تقدم : * وقد يدرك المأمول والروح في النزع * وقد يحتمل ان تكون حقيقية، فإذا كان في هذه حقيقية وهو مطروح في النعش ففي النزع أولى" . ص ١٩٢- ١٩٣ .

(١٢٣)ينظر: م . ن ، ص٣٥ .

(١٢٤) م . ن ، ص٤٣ .

(١٢٥) م . ن ، ص ١١٣ .

(١٢٦) ينظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ج١ ص١٨٩ وما بعدها ، والجزري شاعر الحب والجمال دراسة ، خالد جميل محمد ، دار الزمان ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٦ ، ص ٩٩-١٠٠ .

(١٢٧) ينظر : فصل تطور الدراسات الإستشراقية عن الرسول القائد ضمن كتيب (تطور الإستشراق في دراسة التراث العربي ، د. عبد الجبار ناجي ، (سلسلة الموسوعة الصغيرة ٨٥)، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٨١، ص ٨١ وما بعدها) ، وكتاب الشخصية المحمدية ، معروف الرصافي ، منشورات الجمل كولونيا- بغداد ، ط٥ ، ٢٠١١ . (أُنموذجاً)

(١٢٨)الديوان ، ص ١١٧ .

(١٢٩)ينظر: القرآن الكريم ، سورة النجم الآيات (١-١٨) ، وسورة الإسراء الآية (١) ، والتكوير الآية(٢٣).

(١٣٠)الديوان ، ص ١٢٩ ، وفيه الأواه :" الرحيم" ، و" الخاشع القلب " . النوافح ص ٣٤٢ .

(١٣١) م .ن ، ص ١٢٦ .

(١٣٢)ينظر : م . ن ، ص ٨١ ، ١١١، ١٢١ .

(١٣٣) م . ن ، ص ١٢٢، وفيه :" القيظ الصيف والصيب السحاب والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلأ " .

(١٣٤) م . ن ، ص ٦٠ ، وفيه :"مدله : متحير ذاهب العقل ، والزرابي : البسط ، والمبثوثة : المبسوطة والاتراب : جمع ترب وهن التي على سن واحد". وفيه اقتباس من القرآن الكريم ، ينظر : الغاشية : ١٦، و ص : الآية ٥٢ ، و الواقعة : الآية : ٣٧ ، والنبأ : الآية ٣٣ . يراجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ، مط دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٤- ١٩٤٥ ، (مادة ترابا)

(١٣٥) م . ن ، ص ٨١-٨٢ .

(١٣٦) م . ن ، ص ١١٢ ، وفيه :" عسعس : أقبل ظلامه ، وتنفس الصبح : تبلج وظهر" ، وفيه اقتباس قرآني ، ينظر التكوير: الآية : ١٧-١٨.

(١٣٧) طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاف ، ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) تحقيق : محمد إبراهيم سليم مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ٢٠١٠ ، ص١٠٦ .

ثبت المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي - نصوص أدبية من القرن الهجري السابع جمعها بعض تلاميذه في حياته ، تقديم وتحقيق ، عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار قتيبة ، بيروت - دمشق ط١ ، ١٩٩١ .

- الإحاطة في أخبار غرناطة ، ابن الخطيب(ت٧٧٦ هـ) ، م٢ و م٣ ، تح : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٥.
- الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، د . نور الهدى الكتاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ .
- الأدب في بلاد الشام – عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، د .عمر موسى باشا ، دار الفكر المعاصر– بيروت (باشتراك) ، ط١ ، ١٩٨٩ .
- الإغتراب في الشعر الأموي ، د. فاطمة حميد السويدي ، الناشر : مكتبة مدبولي ، القاهرة ط١ ، ١٩٩٧ .
- برنامج شيوخ الرعيني ، أبو الحسن الرعيني الإشبيلي (ت ٦٦٦ هـ) ، تحقيق : إبراهيم شبوح ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ، ١٩٦٢ .
- تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، إبن صاحب الصلاة (ت٥٧٨هـ) تحقيق : عبد الهادي التازي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ .
-تحفة القادم ، إبن الأبار (ت٦٥٨هـ) ، أعاد بناءه وعلق عليه : د .إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ .
- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، ج١ ، د. زكي مبارك ، المكتبة العصرية بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ .
- تطور الإستشراق في دراسة التراث العربي ، د. عبد الجبار ناجي ، (سلسلة الموسوعة الصغيرة ٨٥) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١ .
- الجزري شاعر الحب والجمال ، دراسة ، خالد جميل محمد ، دار الزمان ، دمشق ، ط١ ٢٠٠٦ .
- الحنين والغربة في الشعر الأندلسي (عصر سيادة غرناطة ٦٣٥ – ٨٩٧ هـ) ،إعداد : مها روحي ابراهيم الخليلي (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠٠٧ .
- الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين ، د . يوسف بن علي بن إبراهيم العريني (سلسلة الأعمال المحكمة ٧) ، الرياض ، ١٩٩٥ . (انترنيت)
- دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، د. سوادي عبد محمد ، د . صالح عمار الحاج المكتب المصري ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٤ .
- ديوان إبن الجنان الأنصاري الأندلسي شاعر المديح النبوي بالأندلس في القرن السابع الهجري ، جمع وتحقيق ودراسة : د . منجد مصطفى بهجت ، دار الكتب – الموصل ١٩٩٠ .
- ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، لأبي زيد الفازازي الأندلسي وتخميسه لأبي بكر محمد بن المهيب ، مط المنار ، تونس ، ١٣٧٨ .
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، إبن عبد الملك المراكشي (ت٧٠٣ هـ) ، السفر الثامن ، القسم الثاني ، تح : د. محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية (د.ت) .

– الرواية والمكان ، ياسن النصير، (سلسلة الموسوعة الصغيرة ٥٧) ، دار الحرية للطباعة بغداد، ١٩٨٠ .

– زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، التجيبي (ت٥٩٨هـ) ، أعده وعلق عليه : عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٠ .

– الشخصية المحمدية ، معروف الرصافي ، منشورات الجمل ، كولونيا– بغداد ، ط٥ ٢٠١١ .

– الشعر في مشاعر الحج ، أ . د . عبد الرزاق الحاج حسين ، الملتقى العلمي الثاني لأبحاث المدينة المنورة ٢٠٠٨ . (انترنيت)

–الشمائل المحمدية ، أبو عيسى الترمذي(ت٢٧٩هـ)، خرّج أحاديثه وعلّق عليه : عزت عبيد الدعاس ، دار الندوة الجديدة ، بيروت (التاريخ في المقدمة ١٩٨٥) .

– الشوق الى النبي صلى الله عليه وسلم ، د . لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه . (انترنيت)

– الشوق والحنين الى البقاع المقدسة في الشعر الأندلسي والمغربي ، أ . د . الربعي بن سلامة . (انترنيت)

– طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاف ، ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) تحقيق : محمد إراهيم سليم ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ٢٠١٠ .

– ظاهرة الإغتراب في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر العباسي الأول ، د. فتحي ارشيد شديفات ، الطريق للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ص١٩٣.

– غرباء القسم الثاني من صلة الصة ، إبن الزبير (ت ٧٠٨هـ) ، (منشور في آخر كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، ابن عبد الملك المراكشي (ت٧٠٣ هـ) ، السفر الثامن ، القسم الثاني ، تح د. محمد بن شريفة ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، (د. ت) .

– فجر الأندلس ، د . حسين مؤنس ، دار الرشاد ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥ .

– فنية شعر المدح النبوي في الأندلس ، د . عمر ابراهيم توفيق ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، ع ١ ، م ٥ ، السنة الخامسة ، ٢٠١٠ .

– في الأدب الأندلسي ، د . جودت الركابي ، دار المعارف ، القاهرة (د. ت) .

– في تاريخ المغرب والأندلس ، د. أحمد مختار العبادي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٢ ١٩٨٦ .

– القاضي عياض الأديب (الأدب العربي في ظل المرابطين) ، عبد السلام شقور ، دار الفكر المغربي ، ط١ ، ١٩٨٣ .

– القصائد العشريات ، أبو زيد الفازازي الأندلسي ، شرح وتفسير الشيخ محمد الزهري الغمراوي ، المكتبة الشعبية ، بيروت . (د . ت) .

– ما قبل هيكلية الزوايا بالمغرب : الطوائف الصوفية خلال مرحلة الإنحلال الموحدي ، د . محمد الشريف ، المملكة المغربية ، وزارة الثقافة . (انترنيت)

– مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها ، تحقيق : إبراهيم بن مراد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ .

- المديح النبوي في الشعر الأندلسي عهد الموحدين ، منجد مصطفى بهجت ، مجلة آداب الرافدين ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ع١٣ (عدد خاص بمناسبة حلول القرن الخامس عشر للهجرة) ، ١٩٨١ .
- المرابطون والأندلس ، د . داود عمر سلامة ، دار الكتاب الثقافي ، إربد ، ط١ ، ٢٠٠٧ .
-المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ) ، تح : محمد سعيد العريان ، مط شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، مط دار الكتب المصرية القاهرة ، ١٣٦٤- ١٩٤٥.
- المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد الاندلسي (ت ٦٨٥ هـ) ، تحقيق : د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، (د.ت) .
- المقتضب من كتاب تحفة القادم ، إختيار وتقيد : أبي اسحاق البلفيقي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني (باشتراك) ، ط٢ ، ١٩٨٣ .

- مقدمة إبن خلدون ، عبد الرحمن ابن خلدون المغربي (ت ٨٠٨ هـ) ،(روجعت هذه النسخة وقوبلت على عدة نسخ بمعرفة لجنةمن العلماء) ، دار الفكر ، (د . ت) .
- المقدمة الغزلية للمدحة النبوية الاندلسية ، د . فيروز الموسى ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، (انترنيت)
- موسوعة الحضارة الإسلامية ، العصر الأندلسي ، د. قصي الحسين ، دار البحار ، بيروت ط١ ، ٢٠٠٥ .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، المقري (ت ١٠٤١ هـ) ، ج٢ ، ج٥ ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ط١ ، ١٩٩٨ .
- نظم العقدين في مدح سيد الكونين لإبن جابر الهواري الأندلسي ، د . محسن جمال الدين مجلة البلاغ الفكرية ، ع٨ ، السنة الأولى ، نيسان ١٩٦٧ .
- النوافح العطرية المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية في مدح خير البرية (صلى الله عليه وسلم) محمد بن مَسْنَه البرنوي ، تأليف : محمدغبريم التيجاني ، شركة القدس ، القاهرة ، ط٢(معتنى بتنقيحها وتصحيحها) ، ٢٠٠٧ .
- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، أحمد بابا التنبكتي (ت٩٦٣ هـ) ، ج١ -٢ ، اشراف وتقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ط١ ، ١٩٨٩ .

Longing in Al-Easael-Al-Mutaqabela Devan of Abu-Zaid Al-Fazazi Al-Andalusi (627 Hijri) in Prising the Prophet (Peace be on him) and Takhmis (to make five) of Abu-Bakr Muhammad bin Muheeb Al-Magharabi (645 Hijri)- Thematic Study.

By: Dr. Nizar Shukur Shakir

Sulaimani University
School of Basic Education

Abstract

The subject of panegyric poetry in prising the prophet Muhammad in Arabic Literature is related or linked to certain expressional contents and longing is one of them. Since most of the compositions and versifications which lie within the context of this religious subject have related this matter very keenly taking into consideration the results which lead the longings consequently to getting very close and attracted to the personality of the praised person within the subject in use, in reference to the praised person's characteristics as mentioned in the holy Quran and Hadeth.

The significance of this study lies in its attempt to get an answer to the following question:

What has longing offered to the panegyric poetry in praise of the prophet in Al-Wasael Al-Mutaqabela Divan on the intellectual level?

No doubt, getting an answer to such a question requires knowledge about the concept of longing (desire) in the collection mentioned above, which should submit to a descriptive and analytic study that should examine its concept contextually, and contribute in shedding light on its mechanisms in the scope of the poetic purpose by supporting it with meaning, as this experience is considered a pioneer in the Andalusian potry in this filed. Some see that the progress in the Muhammadian Panegyric poetry has become one the known poetic genres since the last decades of the beginnings of the Mamulki Age, this is on one hand, on the other hand some others see that the firmness and the spread of this genre of poetry in Andalusian before the Al-Sarsary and Al-Busairy is due to the owner of this Divan 'Adu Zaid Al-Fazazi Al-Andalusi (627 Hijri). If the later is proven right academically -taking into consideration the closeness in period between the two texts – it is important to uncover the Andalusian style in the filed of Mohammadian panegyric recording a critical case. Hence the problem of this study emerges. It is hoped that this study would be of high significance for the readers and researchers. There is a self-relation to the praised (Mohammad 'peace be on him') which is a reason behind the immortality of the genre, it caries alone with it certain

sentimental concepts like: compliment love of the place inhabitants, meditation and self-reproach, congratulation of the riders and travellers to the prophet (peace be on him), sending greetings in stations where present longing values and those which compensate for the past missing, after having some semantic levels in the texts where the place and the trace transfer geographically to a source where the soul can find its missing mate. And this raises from the value of the dignifies after he has become like an exhibition of heroism and nobility depending on the inherent religious view in this spiritual field and the signs of intellectual back up among the poetic texts in this side which helps in constantly reminding the reader of the character of the prophet. This shows loyalty to the prophet which requires the intensity of the concept of human abstraction in the images of kissing and adoring the traces of the person who has been chosen by the Lord to be His prophet and messenger.

Remoteness or closeness has never been less important than what has been mentioned previously. The study focused on reducing the gap between the two concepts and getting a unified goal, especially in case of the signs of distance (remoteness) (such as: weeping, wound, loss) which emphasized the concepts of closeness (such as blaming the self, compliment, etc.) after having some motivation of this inevitable surmount such as:

1. **Starting the journey of soul (the alternative element) with the body standing still. This journey is decorated with signs of request, with what man is supposed to be in terms of honour in determination to the target to the extent of death and satisfaction; these are the characteristics of morality in this journey which is not doomed to stop to success.**
2. **Investigating the Quranic reality in its time and spatial contexts, to remind of the achieved closeness filled with hope, in the light of the available intellectual closeness which works on reducing the gap between it and the real distance.**

   Thus, it is obvious that Longing in Al-Wasael Al- Mutaqabela Divan appeared in employing its energy within the fame of Mohammadian panegyric.